عطاء الإسلام
الحضاري

بسم الله الرحمن الرحيم

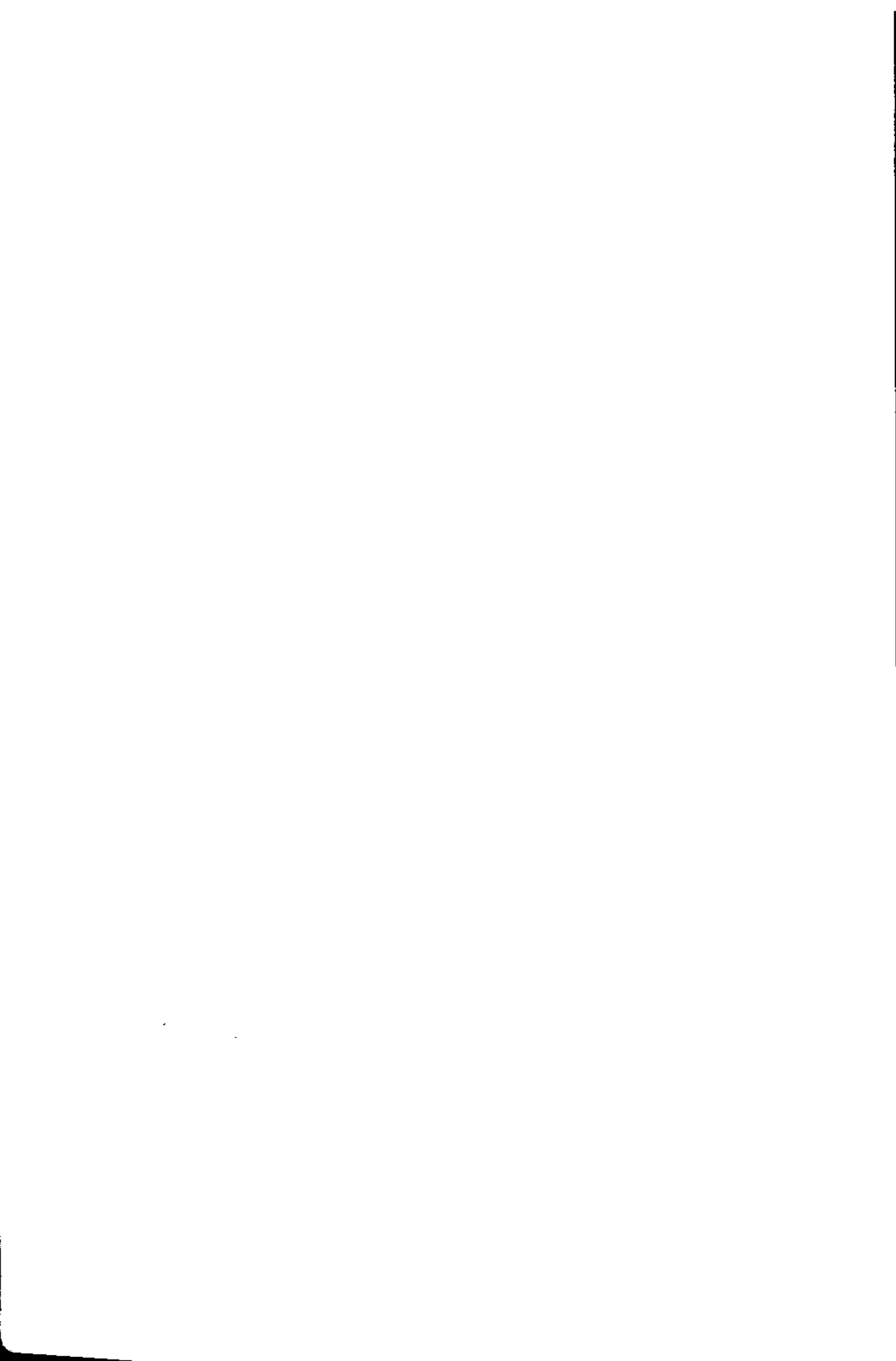


كتاب شهري يصدر عن
رابطة العالم الإسلامي

عطاء الإسلام الحضاري

أ. أنور الجندي

رجب ١٤١٦هـ - العدد ١٦٣ السنة الرابعة عشرة



مدخل الى البحث

لم يعد هناك مفر من ان يتقدم كُتَّاب ومفكرو الأمة الإسلامية بتصوراتهم للمشروع الحضاري الاسلامي الذي اصبح ضرورة ملحة بعد أن مر المسلمون، ومنهم العرب، خلال السنوات الاخيرة بتحديات خطيرة مما يتطلب مواجهتها ووضع تصور اصيل مستمد من مفهوم الإسلام الجامع ليكون نبراسا للخطوات المتصلة على طريق الاصالة والعودة الى المنابع واقامة المعاصرة في دائرة الاصالة يكون فيها «البناء على الاساس» وليكون هذا المشروع الحضاري الاسلامي بديلا للمشروع الحضاري الوافد الذي حاول السيطرة على مقدرات المسلمين خلال قرنين من الزمان «منذ الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨م» بعد أن ثبت عجز هذا المشروع الحضاري الغربي الوافد عن العطاء وفشله في تحقيق الامن النفسي والمجتمع الرباني.

لقد أقام الإسلام منهجه الاصيل على اساس وحدة الفكر الجامع التي توسع دائرة الالتقاء والتعارف لكي تصل الانسانية الى عصر التراحم والوفاء من خلال المنهج الرباني الذي رسمه الحق تبارك وتعالى بديلا للمنهج البشري القائم على الصراع والقتال واثارة الاحقاد والخصومات والمطامع على النحو الذي نراه اليوم والذي يتطلع دعاته الى شق القوى المجتمعة وتدمير الروابط لتحويل الكيان

الاسلامي الكبير الى كيانات وكنتونات متصارعة وذلك بايقاظ الخلافات المذهبية والتفرقة العرقية.

قال تعالى:

﴿وأنَّ هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ الأنعام ١٥٣.

إن مشروع النهضة الوافد - في مصر خاصة - والذي اعده لطفي السيد وطه حسين وسلامة موسى لم يكن قائما على الأسس الحقيقية التي يجب أن يقوم عليها مشروع نهضة أي أمة وهي القيم الثلاث: العقيدة، واللغة، والتاريخ.

ومن هنا فإن كل ما يتهم به هذا المنهج الوافد الذي مازال يتخبط في تحقيق مجتمع اسلامي سالم آمن رباني لما به من قصور وما تحقق له من عجز عن اقامة مجتمع اصيل قادر على الاندفاع على طريق التقدم على النحو الذي نرى فيه اهل الاسلام وهم يلتمسون المناهج الوافدة المادية والبشرية.

فقد حرص هؤلاء وغيرهم على أن يعزلوا الأمة عن مجرى تاريخها وعن الركائز والقنوات التي بناها الاسلام لهم منذ اربعة عشر قرنا تحت سماء جديدة قائمة على الاقليمية الضيقة واعلاء شأن مذاهب ما قبل الاسلام بما بها من عنصرية ومادية واباحية مما يحاول البعض اليوم احياءه - شأنه في ذلك شأن الفرعونية والفينيقية والاشورية والزنجية مما أدى إلى تمزق الأمة وراء مذاهب وافدة مثل الماركسية، والعلمانية، والليبرالية التي ترمي إلى فصل عناصر الأمة الواحدة التي جمعها القرآن كلها على كلمة واحدة.

قال تعالى :

﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون﴾ الأنبياء ٩٢ .

﴿وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ الحجرات ١٣ .

ذلك أن النفوذ الاجنبي كان واعيا لهدفه وأدواته وحرصه على تمزيق الوحدة الاسلامية الجامعة ، وإقامة القوميات والاقليميات حتى يتحقق هدف التعريب كما صوره «هاملتون جب» بأن يكون لكل اقليم ثقافة خاصة يستعلي بها على مفهوم الاسلام والقرآن والتوحيد الخالص وبذلك تتمزق الأمة إلى أمم .

كان الهدف تمزيق الأمة الاسلامية وراء تواريخ حزبية قاصرة بينما كانت الأمة تصدر عن تكامل جامع بوصفها الأمة الاسلامية التي تتوازن عناصرها وتتلاقى .

لقد كان واضحا أن اصحاب مشروع النهضة العلماني الغربي الوافد الذي يرمي إلى تمزيق وحدة الأمة تحت اسماء الاقاليم والقوميات قد وجدوا في تدمير الجامعة الاسلامية منطلقا حقيقيا لتمزيق كل القيم التي عرفتها هذه الأمة من خلال العقيدة أو اللغة أو التاريخ والتراث .

وحين يطرح الفكر الاسلامي اليوم المشروع الحضاري الاسلامي للنهضة إنما يجيء ذلك بعد أن سقطت كل المشاريع العلمانية الوافدة وبعد أن اكدت التجربة في العالم الاسلامي وفي اقطاره المختلفة على فشل كل الايديولوجيات التي حاول بعض

العلمانيين ودعاة التغريب بمساعدة القوى الوافدة على فرض هذه المناهج أو اقامتها .

ومن هنا فإن وجود المشروع الحضاري الاسلامي اليوم اصبح ضرورة لازمة بعد أن اصبح لازما للمسلمين أن يشكلوا منهج حياتهم ومجتمعهم على أساس التوحيد الخالص ومن منطلق القرآن الكريم والسنة المطهرة .

وكانت علامة الخروج من التبعية والاتجاه نحو العودة إلى المنابع حقيقة واقعة .

والواقع انه لاسبيل لأي مشروع حضاري في أن يمكِّن لقيام الأمة القادرة على حمل رسالة الحق تبارك وتعالى للعالمين إلا إذا استمد مفاهيمه من الاصل الاصيل الخالد : النص الموثق الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي هو جماع القيم الربانية العليا .

وكان لابد أن يكون المنطلق الحقيقي من القرآن والسنة على النحو الذي بدأت به النهضة الاولى ايمانا بأن القرآن كتاب الله الخالد الصالح لكل زمان ومكان والذي هو الينبوع الذي تنطلق منه المناهج والخبرات التي تمكن المسلمين خاصة - والبشرية عامة - من جني الثمار من خلال مخاطبة العقل والقلب والوجدان .

ومن هذا المنطلق يمكن تأصيل كل المنظمات القائمة وردها إلى منابعها : منظمة الانتماء ومنظمة المجتمع ومنظمة التعامل الخارجي مع الغير وتكامل المجتمع الداخلي وتصحيح مسار الاقتصاد ورفض النظام الربوي ووضع المرأة في مكانها الطبيعي عمادا للاسرة

والمجتمع وبناء التعليم على أسس التربية الاسلامية وتوجيه ادوات الترفيه والتسلية نحو الوجهة السليمة التي تحقق هدف «الترويح» وليس «الترفيه» دون الدخول في دائرة الانحراف والتبذل وحماية الوجود الاجتماعي كله من الانحراف الاخلاقي ومن الفساد والفحشاء والاثم كله.

ولما كان الاسلام يمتلك قوة رائعة لايمتلكها أي منهج بشري أو ايديولوجية عصرية، تلك هي الوسطية: وسطية التوازن والتكامل والمواءمة بين القيم بحيث لايوجد في خلال ذلك أي صراع طبقي أو خصومة بين الاجيال هذا التكامل يفرض مسؤولية خطيرة على الفكر الاسلامي وهي أن يقف موقف المراجعة الواسعة للفكر المادي الغربي والفكر الالحادي الشرقي باعتبار أن كلا منهما يمثل «انشطارية» لاتحقق سلامة النظرة حيث تقف النظريات موقف التجزئة بينما يتميز الاسلام، والاسلام وحده، على جميع النظريات والايديولوجيات والمذاهب في الشرق والغرب وفي القديم والجديد بكمال النظرة والتوجه.

ويجب أن يكون واضحا أمام الأمة الاسلامية أن «التجربة الغربية» بشطريها قد انتهت إلى الفشل وأن المسلمين لايأخذون نظم الآخرين ولكنهم يستفيدون من الوسائل فيصهرونها في بوتقة فكرهم ويحولونها إلى مواد خام ينتفعون بها دون أن تحاصرهم أو ينصهروا فيها.

ذلك أن رسالة الاسلام جاءت فصدقت جميع رسالات الانبياء ومن ثم نسختها وهيمنت عليها وقد جمع القرآن الكريم اصول

رسالات السماء كلها من صحف ابراهيم إلى توراة موسى وزبور داود وانجيل عيسى .

وقد كانت الشريعة الاسلامية عنصرا حاميا ومؤكدا لحقوق العناصر المختلفة التي صهرها المجتمع الكبير في بوتقته .

إن النظام الاسلامي هو المنطلق الحقيقي لبناء المشروع الحضاري الاسلامي بقاعدته العريضة من خلال فروعه الثلاث :

١ - الشورى .

٢ - العدل الاجتماعي .

٣ - الحدود والضوابط .

وهذه القيم هي وحدها التي تمكن المجتمع الاسلامي من التماثل المفضي إلى الوحدة الاسلامية الجامعة حيث تتسع دائرة التشابه ويمتد مفهوم «التعارف» الاسلامي بحيث تلتقي كل العناصر والافكار والقوميات حيث يمثل الوطن العربي وحدة كاملة في مجال الاقتصاد والثروة والقوى العاملة والارض الزراعية وغير ذلك من المعطيات .

وليس هناك طريق آخر لبناء المشروع الحضاري الاسلامي غير اقامة التصور السياسي والاقتصادي على أساس منهج الاسلام نفسه وليس على واقع المجتمعات القائم والذي تشكل خلال السنوات الاخيرة من خيوط وافدة مغايرة لمعدنه الاصيل ومنهجه الصحيح حيث توضع قضية الديمقراطية بديلا عن تطبيق الشريعة أو اعتمادها - أي الديمقراطية - مرتكزا اساسيا للمشروع الحضاري الاسلامي ، ذلك أن الديمقراطية الغربية لم تستطع أن تحقق الشورى في

مجتمعها الذي جاءت منه فبالأولى انها لاتستطيع أن تكون قاعدة نظام يعتمد على المنهج الرباني.

ونحن نعرف أن الديمقراطية منذ جاءت من الغرب قد عجزت عن تحقيق أي عدل اجتماعي أو شورى وأن ما نحتاجه منها هو «الحرية» وهي موجودة لدينا في النظام الاسلامي على نحو يعرف بالحرية «المنضبطة» وهي لن تكون إلا مدخلا لتحقيق التصور الاسلامي أما ما يقال من أن تطبيق الشريعة «يتم في نهاية المطاف إذا قدر له» فذلك ليس ينطلق إلا من اهواء الذين يرمون إلى قيام مشروع حضاري اسلامي مغلوط ترضى عنه القوى الغربية ذات السلطان والتي ترغب في تفريغ الاسلام من مضمونه الحقيقي وقص اجنحة الصحوة الاسلامية بالتمويه لتحجب مفهومات اساسية ترغب في حجبها كالخلافة والشريعة الاسلامية والحكم وتحريم الربا ثم تضع كلمات اخرى زئبقية بحيث لايبقى بعد ذلك من الفكرة الاسلامية الاصيلة إلا تثبيت العلمانية الموجودة الآن والقائمة فعلا بغلاف براق علماً انه لا عدل اجتماعيا ولا حرية حقيقية «حرية منضبطة» ولا شورى ملزمة إلا من خلال المنهج الاسلامي.

والحقيقة أن المسلمين عربا وفرسا وتركا وهنودا مسلمون تجمعهم مظلة «لا إله إلا الله» يلتقون على مساحة واسعة من التكامل النفسي والاجتماعي ولا يختلفون إلا في مساحة قليلة من عوامل البيئة أو ظروف العصر.

فالربانية هي القاعدة الاساسية لقيام المشروع الحضاري الاسلامي التي تجعل الوجهة خالصة لله تبارك وتعالى تتحرك في دائرة ما احله وتبعد عن دائرة ما حرم.

فاذا اردنا أن نتصور المنظومة الاسلامية وجدناها تتمثل في «الوسطية» الجامعة بين الروح والمادة والقلب والعقل والمنهج والتطبيق والوحي والنقل، تقيم الشورى منطلق للحكم وتقيم الزكاة منطلقا لحماية المجتمع وترسم الاقتصاد وفق حماية الأمة تأخذ من غنيها لتعطي فقيرها، وتقيم حياتها كلها على أساس الاخلاق: الاخلاق التي هي وعاء المجتمع والحضارة والفرد ايضا والتي تبني الفرد المسلم على أساس المسؤولية الفردية والالتزام الاخلاقي وتجعله منطلقا لبناء الاسرة المسلمة فالجماعة المسلمة فالحكومة المسلمة. ولابد من رعاية كاملة لكل عناصر المجتمع وحماية يقظة لاتغفل عن الحدود والثغور على أساس مفهوم الجهاد الاسلامي.

قال تعالى: **﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾**. الانفال ٦٠.

وهو مايسمى في العصر الحديث «القدرة على الردع» وحماية اسرار الأمة وكيانها **﴿لا تتخذوا بطانة من دونكم﴾**آل عمران ١١٨.

ويجب أن يكون واضحا أن الشورى الاسلامية ليست هي الديمقراطية وأن العدل الاجتماعي ليس هو الاشتراكية كما يحاول البعض التمويه على الشباب المسلم ولنكن واعين تماما إلى حقيقة اساسية وهي أن الفكر الليبرالي الغربي قد اثبت من سنوات عديدة ومنذ عرفته البلاد العربية والاسلامية عجزه تماما عن العطاء حتى في دائرة بلاده حيث يطالب الناس هناك بنظام اقتصادي جديد، كذلك كان الأمر بالنسبة للنظام الماركسي الاشتراكي.

وقد اكدت الاحداث هذه الحقائق حين اعلن في السنوات

الاخيرة عن فشل الفكر الماركسي في بلاده بعد سبعين سنة من التطبيق حيث انهارت القواعد الماركسية اللينينية وسقطت تماثيل ماركس ولينين وستالين في مختلف عواصم الغرب .

وفي هذا المنطلق هناك جملة حقائق اساسية :

أولا : ان الاسلام دين ومنهج حياة وانه يجمع بين العلاقتين : مع الله تبارك وتعالى من ناحية ومع المجتمع من ناحية اخرى .

الثاني : ان الاسلام يقبل بالمفاهيم العصرية في العلوم والتجارب ولايعرض عنها أو يغلق الباب دونها ، ولكنه في نفس الوقت يحول هذه التجارب والمناهج إلى مادة سائلة يدخلها في كيانه وتنصهر في وجوده العام ولاتتحول إلى طابع مسيطر على أي نحو من الانحاء بمفهوم المحافظة على الذاتية الخاصة وعدم الانصهار في الحضارات المختلفة ولايقبل أي تحول عن الاعمدة الثوابت التي تحكم مسيرته من حيث الحدود والضوابط ومفاهيم القيم .

الثالث : ان الاسلام يقرر وضعا للانسان يختلف عن مفهوم الغرب أو المذاهب الاخرى فهو يكرم الانسان ويجعله مستخلفا على العمران في ضوء الايمان بالله تبارك وتعالى والتحرك في دائرة الاستخلاف ليكون عطاء الدنيا عاما للبشرية كلها وليس قاصرا على جانب منها وهو في هذا المجال يقيم حياته على مفهوم المسؤولية الفردية والجزاء الاخروي .

الرابع : أن الاسلام يجعل الملكية الحقيقية في الثروة والاموال لله تبارك وتعالى ويجعل الانسان مستخلفاً في هذه الاموال وله فيها ملكية مجازية تختلف عن ملكية الفرد وملكية الجماعة .

الخامس: أن الاسلام يجمع بين الثوابت والمتغيرات، كما يجمع بين الروح والمادة، والقلب والعقل، والدنيا والآخرة. ويجدد نفسه كل مائة عام، ويقبل الاجتهاد ويفتح باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله والاجتهاد في الاسلام يواكب المستجدات ويستنبط للجديد احكاما ويجمع بين عالمي الغيب والشهادة ويجمع بين العقل والنقل.

السادس: أن الاسلام يقرر المساواة بين الرجل والمرأة بتمايز الطبيعة بين الانوثة والذكورة وكل له وظيفته فهي ليست مساواة الندية التي تقيم التناقض بين الرجل والمرأة وانما مساواة التكامل بينهما.

السابع: أن هناك حقيقة اساسية: وهي استحالة انفصام الشخصية الاسلامية عن الدين والايمان بالله تبارك وتعالى مهما حاولت القوى التغريبية اشاعة دعواها الباطلة بمقولة أن الانسان المعاصر لم يعد في حاجة إلى التدين بعد أن وصل إلى هذا القدر من العلم العصري بل إن كل العوامل المتصلة بحياة الانسان في هذا العصر والتحديات التي تواجهه توحي بالحاجة للعودة إلى الدين في إيمان يسبغ على النفس الانسانية الامن والأمان والثقة بالاله الخالق تبارك وتعالى بعد أن اضطربت المقاييس وتزعزعت الثقة في كل المعتقدات والقيم البشرية التي صاغها الفلاسفة خلال القرون الثلاثة الاخيرة والتي ثبت فسادها وعجزها عن العطاء لتوقفها عند الجوانب المادية والتنكر للجوانب الروحية.

ولقد تطلعت نفوس الكثيرين من المثقفين في الغرب اخيرا إلى الاسلام كونه منقذاً من هذه الازمة وهذه الحيرة واستطاع فعلا رجال مثقفون على قدر كبير من العلم أن يجدوا في الاسلام ملاذهم.

فالمسلمون اليوم يؤمنون بأن بلادهم مستهدفة لاخطار كثيرة فلابد من دعم الوجود السكاني بحيث يكون قادرا على حماية البلاد ورد كيد الاعداء عنها .

والمسلمون اليوم يؤمنون بضرورة أسلمة المناهج والعلوم والمعرفة وتقديم البدائل الاصيلة لتحل محل المفاهيم الوافدة في مختلف المجالات ؛ كما انهم يؤمنون بضرورة بناء قاعدة صلبة للتربية الاسلامية الخالصة التي تحتفظ بعناصر الأمة وقدرتها على الايمان بحق الله تبارك وتعالى على المسلم في دائرة الاستخلاف والعمران والسعي والتحرر من الضعف والترف الوهمي ولابد أن تخرج الأمة الاسلامية من طابع الضعف وتدخل مرحلة الصمود والعزيمة وذلك حتى تستطيع أن تحقق وجودها الحقيقي وتقيم مجتمعها الاصيل الذي يحمل طابع ذاتيتها الخاصة المتحررة من التبعية لتقدم الاسلام للبشرية بوصفه العامل الوحيد القادر اليوم على تحريرها من عوامل القلق الهائل والاضطراب الشديد الذي يعصف بالنفس الانسانية نتيجة عبادة المادة والانصراف عن قيم الاخلاق والايمان .

وبعد :

فهذه جولة واسعة في فروع المشروع الحضاري الاسلامي أو عطاء الاسلام الحضاري تكشف جوانبه المختلفة ومعطياته الاصيلة ؛ وهذا اجمال له تفصيل في مختلف ابواب الكتاب الذي بين ايدينا .

أنور الجندي

الباب الاول

١ - الاسلام: الدين الخاتم لرسالات السماء

٢ - المسلمون أمة متميزة

٣ - الاسلام عقيدة و منهج حياة

٤ - عالمية الاسلام

الإسلام الدين الخاتم لرسالات السماء

إن مقولة خصوم الاسلام من أن الاسلام ليس إلا عناصر مأخوذة من الديانتين السابقتين عليه في معظم معالمه ومعطياته هي مقولة باطلة في مجموعها ولكنها من وجهة نظر اخرى تجد وجها من الشبه والتقارب والالتقاء دون أن يعطي هذا الشبه أي دلالة على أنه مأخوذ من الدينين السابقين، اما هذا الوجه من الشبه والتقارب فيرجع إلى أن الاديان السماوية كلها هي من مصدر واحد هو الله تبارك وتعالى وانها دعوة إلى البشرية للايمان بالله وحده والتصديق برسالاته وكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر.

فهذا المعنى عامل مشترك في الاديان كلها ولكنه يأخذ في الاسلام طابعا مختلفاً من ناحيتين: الاولى من حيث انه دين عالمي خاتم جاء للبشرية بعد أن بلغت رشدها واصبحت موهلة لدين عام وكانت الاديان من قبل تأتي لكل أمة دينها ورسولها في اجل محدود، اما الناحية الاخرى فان الاديان كلها كانت تدعو إلى التوحيد الخالص ولها رسالة كاملة من الصلاة والصوم والمعاملات فهذه العناصر كلها موجودة في كل الاديان ومن هنا يأتي الظن أو محاولة القول بأن الاسلام لانه جاء بعدها قد اخذ منها وهذا ليس صحيحا على اطلاقه فقد جاء الاسلام بدعوة التوحيد التي جاء بها كل دين من قبل ولكنه جاء بنظام اجتماعي مختلف له طابعه الخاص من حيث الدعوة العامة التي يحملها الاسلام في مقابل الدعوة الخاصة التي تحملها الاديان السابقة عليه وهذه هي الدعوة التي

يحاول أن يدخل بها أهل التشكيك والشبهات على نفوس الناس خداعا حتى يحولوا بينهم وبين الايمان بالدين الخاتم الذي عرفه كل من آمن بدين سابق أو قرأ في الكتب المقدسة القديمة، فقد اكدت هذه الاديان وهذه الكتب ان هناك دينا خاتما متى جاء فعلى اصحاب الاديان ان يؤمنوا به.

ولقد كان من عمل دعاة التبشير والاستشراق أن يقفوا في وجوه الناس حتى لايؤمنوا بالدين الخاتم الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم فحملوا عليه حملاتهم واثاروا الشبهات وتلك كانت ولاتزال مهمة التنصير في الاصل في رد اهل الغرب عن الاسلام بخداعهم بأنه ليس الا مجموعة مقولات من الاديان السابقة وقد كتبوا في ذلك مئات الكتب والموسوعات في محاولة لحجب حقيقة الاسلام وراء هذه المقولات المختلفة المتضاربة ولكن طلاب الحقيقة لم تحجبهم هذه المحاولات بل استطاعوا أن يصلوا إلى الحق ويتأكدوا من أن الاسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو شيء مختلف ومتميز عن رسالات السماء التي كانت ترسل إلى أمم بعينها في عصور معينة محدودة وان الاسلام ليس هو اليهودية أو المسيحية وإن كان يحمل دعوة التوحيد التي يحملونها وتبينوا أن الاسلام منهاج عريض واسع رباني المصدر انساني الوجهة عالمي خالد وانه منهج مرن يتقبل متغيرات الأمم والحضارات ولايتوقف امام تطورها وان مطالعة مقولة أي من الأعلام الذين دخلوا في الاسلام تكشف هذه الحقيقة وتكشف ايضا من أن الاسلام قد حمل كتابه الخالد الذي لم يزيف ولم يأتيه الباطل من بين يديه ولا

من خلفه «القرآن» كل المقولات الزائفة التي حذفها أو اضافها رؤساء الاديان ورد عليها ودحضها بل كشف كل مقولات الوثنية وعباد الكواكب والمجوس وغيرهم فلم يدع منهم نحلة واحدة دون أن يكشف زيفها.

وفي نفس الوقت احتضن الاسلام الاديان التي جاءت قبله ودعا إلى حماية معابدها واهلها.

ولقد فتح الله تبارك وتعالى الطريق إلى نور القلوب في عشرات من كتاب الغرب سواء من اسلم منهم أو من لم يسلم ليعترفوا بفضل الاسلام واختلافه عن الاديان وكيف اخرج اوربا من الف سنة من ظلمات الوثنية والرهبانية بعد دخول علوم القرآن إلى اوربا عن طريق الاندلس.

بل لقد بلغ الامر بالبعض أن اعترف بمعطيات الاسلام في العلوم التجريبية ودرس بعضهم النظم الخاصة بالربا وتفكك الاسرة وتحرير المرأة والغاء ثبات الاخلاق وتقنين الاباحية وكتب علماء الاقتصاد امثال الدكتور شاخت مدير بنك الرايخ الالماني عن خطر الربا في تدمير المجتمع الغربي وكتب علماء مؤتمر لندن ١٩٠٧م «المعروف بمؤتمر نيومان» بأن هذه الأمة التي تسكن الارض بين افريقيا وآسيا هي المؤهلة لقيادة العالم «وهي الأمة التي تحمل القرآن».

ولذلك فهم يتعجلون تدمير هذه الأمة بتلك الحملات الحاقدة الصارخة ولن يستطيعوا فإن ظاهرة الصحوة الاسلامية تؤكد انها من معطيات الله تبارك وتعالى للأمة الاسلامية لتقوم بدورها الحقيقي إن - شاء الله تعالى -.

المسلمون أمة متميزة

بالرغم من كل ماحدث في العهود الاسلامية السابقة من اخطاء وتجاوزات تظل اكثر عهود البشرية كلها نقاء وارتفاعا عن الطمع والظلم والحقد وذلك بشهادة الغربيين المنصفين أنفسهم ويرجع ذلك إلى منهج الحياة الذي رسمه الاسلام واطلق عليه الشريعة الاسلامية .

ومايزال الانسان مع الاسف الشديد في كل عصر من العصور تجده يعارض ما اختاره له الله تبارك وتعالى من منهج ويضع لنفسه قوانين وضعية تحقق مطامعه واهواءه وهي تقوم اساسا على ظلم الانسان لاخيه الانسان .

وكان أقسى ما طمع فيه اهل المذاهب الوضعية دعوتهم إلى العلمانية وفصل الدين عن الدولة وانكار الدين جملة والدعوة إلى «نسبية الاخلاق» واعطاء الانسان لنفسه قوة موهومة في القدرة على امتلاك التصرف .

وقد كشف الغرب عن حقيقة موقفه من دعواه في تطبيق النظام الغربي في بلاد المسلمين فكان موقفه واضحا في أنه لايقبل العدل ويخشى أن يأتي باصحاب الحق لامتلاك ادارة أوطانهم ومضى يصف كل صحوة اسلامية بأنها ارهاب وتطرف دون تفرقة بين الدعوة الصحيحة والدعوة الباطلة .

لقد وضع الغرب مفهوم الديمقراطية على نحو قابل للمغايرة

والتحول ولم يجعله قانونا بعيدا عن الاهواء والمطامع بحيث يصبح نافذا في كل الاوقات بل جعله محققا لاهواء اصحاب القوة فهو لايحقق هدف العدل أو المساواة بين جميع الطبقات على النحو الذي قدمه الاسلام في تطبيق الشورى والعدل المطلق على الجميع كما قال وبيَّن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم: **[كان فيما قبلكم إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد]**.

ويضع الاسلام قواعد حاسمة في هذا المجال لاتعرفها العلمانية ولا الديمقراطية قوامها:

- المساواة بين الناس جميعا وقد ولدوا متساوين احرارا لا ابيض ولا أسود.

- العدل مع كل الناس حتى اقرب الناس:

قال تعالى: **﴿ولايجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوي﴾**. المائدة ٨.

- الاعتراف بالخطأ والرجوع إلى الحق **[ولا يمنعنك قضاء قضيته بالامس ثم هديت فيه لرشدك أن تعود إلى الحق]** «عمر بن الخطاب رضي الله عنه».

- قدرة معطيات الاسلام على العطاء بينما عجزت كل الايديولوجيات - من جمهورية افلاطون إلى الوضعية المنطقية - أن تحقق أي عطاء وإنما اصابها الاضطراب واضطرت إلى الحذف والاضافة.

- جعل العلم لله تعالى والحياة كلها له سبحانه جلّ جلاله وجعل الانسان مستخلفاً في الحياة من خلال المسؤولية الفردية والالتزام الاخلاقي.

- قبول التحديث والتطور والانفتاح على معطيات العلم دون أن يخرجنا ذلك من الثوابت الاساسية.

وعلى أهلنا وقومنا أن يؤمنوا بأن مفاهيم الغرب في الانسانيات ليست علوما وانما هي فروض وتجارب وأن مناهج التعليم ونظم التربية مليئة بالمغالطات والتحيزات المعرفية لصالح حضارة الغرب وهي تحيزات تلبس ثياب الموضوعية والعلمية الزائفة وهي في الحقيقة تستهدف تثبيت عوامل التبعية الثقافية للغرب وما يتبع ذلك من تبعية سياسية واقتصادية؛ وهذا مايسمى بالتحيز المعرفي.

فاذا نظرنا إلى مايسمى علم الاجتماع وجدنا مفاهيم الاستعلاء باللون والجنس والسيطرة على الملونين.

فاذا نظرنا إلى مايسمى بعلم النفس وجدناه مجموعة من الرغبات الجنسية بما يعطي مشروعية الاباحية والتحلل تحت عناوين خادعة فاذا نظرنا إلى السياسة وجدنا مفاهيم الميكافيلية.

فاذا نظرنا إلى القانون وجدناه لايحقق العدل.

فاذا تحولنا إلى الاقتصاد وجدنا سيطرة الربا ونهب الثروات.

فاذا تحدثنا عن الاسرة وجدنا هدم المناعة النفسية والحصانة الاجتماعية بوسائل الترفيه والمسرح بحيث تعمل على انحراف الاجيال.

اما الادب فقوامه التحلل والكشف والاباحية .

اما السينما فقوامها الجريمة والاباحية .

وكل هذا قد شحنته اوربا وامريكا إلى الأمة الاسلامية وفرضته مناهج في التدريس وقوانين في المجتمع في محاولة لاحتواء الأمة الاسلامية والسيطرة عليها واختراق مواطن دفاعها عن نفسها لتحويلها إلى أمة تابعة .

ولكن الاسلام مايزال قادرا على مواجهة الغزو الثقافي العلماني في نفس الوقت الذي هو قادر فيه على الافادة من المعطيات الايجابية للامم والتي لاتتعارض مع قيمه وثوابته .

الاسلام عقيدة ومنهج حياة

هذا هو الفرق بين الاسلام وبين الاديان الموجودة الآن على ظهر الارض سواء منها المنزلة «والتي اصابها بعض التحريف» والاديان البشرية وفهم الحياة معناه أن الاسلام يمثل نظاما كاملاً ومنهج حياة جامع يرسم كل قواعد نظام المجتمع.

ولقد ذهب الكثيرون إلى الحديث عن الاسلام على أنه مجموعة من الاخلاقيات والدعوة إلى الفضائل - واقتصر امرهم عند هذا فلم يتحدثوا عن ركائز الاسلام الاساسية في المعاملات فليس الاسلام مجموعة نصائح اخلاقية فحسب وانما هو نظام كامل.

ولعل هذا الاتجاه من بعض المسلمين المثقفين ثقافة غربية يرجع إلى أنهم قرأوا الفكر الغربي في عصر المسيحية وما بعدها ووجدوا أنها لاتتحدث عن المعاملات «وأن البابا لا يستطيع أن يجد نفسه مشرعا في المسائل الدنيوية أو مشرعاً لغير المتدينين أو ان يحكمهم طبقا لمبدأ الفصل بين السلطات وفصل الدين عن الدولة» كما يقول نور الدين الشرقاوي في بحثه عن سلطان الارادة بين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية.

والسبب في هذا الفصل بين الدين والدولة راجع إلى جوهر الدين المسيحي الذي ظل يحمل شعار - ما لله لله وما لقيصر لقيصر وفصل الدين عن الدولة - اما الاسلام فقد قال ان ما لله لله وما لقيصر هو لله ايضا ومن هنا يتضح انه لم يكن للمسيحية أي أثر في

القانون الروماني باستثناء أثرها في تطور نظام الاسرة ذلك أن الدين المسيحي يقتصر على الفضائل والاخلاق حتى ان الكنيسة حرمت البيع من اجل الربح والكسب اربعة قرون، يقول نور الدين الشرقاوي: «اما الاسلام فقد اقر مبدأ سلطان الارادة ذلك أن الشريعة الاسلامية- التي اهم مصادرها الفقه- قد اسهمت في مناقشة وطرح هذا المبدأ - مبدأ سلطان الارادة - منذ القرن الثاني للهجرة بينما لم يتحدث الغرب عنه الا في القرن الخامس عشر الميلادي أي بعد الاسلام بثمانية قرون».

ومن هنا يظهر ذلك الخلط الشديد الذي يواجه الباحثين الآن حول العلمانية والفصل بين الدين والدولة في الغرب نتيجة أن الدين المسيحي كان احد الاديان التي نزلت على اليهود وكانت مرتبطة اساسا بالتوراة التي جاءت بالشريعة ونظام المجتمع ولم تكن المسيحية دينا مستقلا منفصلا له شريعة بل كانت مجموعة من الوصايا الاخلاقية والاجتماعية.

اما الاسلام فانه يختلف عن ذلك تماما لانه جاء ديناً جامعاً لكل البشرية وعالميا الى يوم القيامة.

ومن هنا فانه من الظلم أن يتحدث الناس عن العلمانية في الاسلام لأن الاسلام منذ اساسه قائم على الجمع بين الدولة والدين وان مفهوم الدين فيه قائم على اساس انه نظام مجتمع والاخلاق جزء من ثوابته وانه جاء لينظم حياة معتنقيه منذ المولد إلى الموت ومنذ الصباح إلى المساء ومن المساء إلى الصباح.

ويؤكد المستشرق ماسيثون على النظام الاجتماعي في الاسلام

فيقول: «يمتاز الاسلام بأنه يمثل فكرة مساواة صحيحة بمساهمة كل فرد من افراد الشعب بالعشر في موارد الجماعة «الزكاة» والاسلام ينادي بالعداء للاموال المصرفية «الربا» والقروض الحكومية والضرائب غير المباشرة على ضرورات الحياة في حين انه شديد التمسك بحقوق الزوج والولد والمسلكية ورؤوس الاموال التجارية فهو بذلك يقف وسطا بين الرأسمالية والشيوعية وللاسلام ماض كله النجاح في جمع كلمة الشعوب هذه الشعوب الكبيرة المتباينة على بساط المساواة في الحقوق والواجبات الكبرى في افريقيا والهند الشرقية والجماعات الصغيرة منهم في الصين واليابان على أن الاسلام يستطيع أن يوفق بين العناصر التي لاسبيل إلى التوفيق بينها».

ويقول سارتون: «إن المسلمين سيعودون إلى قيادة العالم مرة اخرى بعد أن قادوا شعوب الشرق الاسلامي في مرحلتين طويلتين سابقتين من مراحل التقدم الانساني طوال الف سنة».

وقال قايس: «إن الاسلام اقام الاخاء وابطل العصبية العرقية وشق الطريق إلى الاخاء الانساني وإلى المساواة وان الاسلام لم يعرف الطبقات الاجتماعية ولا حروب تلك الطبقات في مجتمعه ولكن التاريخ الاوربي كله منذ ايام اليونان والرومان مملوء بالكفاح فيما بين الطبقات وبالعداء الاجتماعي».

وهكذا نجد امامنا حقيقتين اساسيتين:

أولا: أن بعض مفكري الغرب يفهمون الاسلام فهما صحيحا بوصفه عقيدة ومنهج حياة لاينفصلان.

ثانيا : انهم يرون أن الغرب قد اسرف كثيرا وتجاوز الحدود في امور كثيرة وتعقدت امامه امور اخرى : اما الاسراف فهو في التحلل الخلقي والجنسي والاباحة واما الامور المعقدة فهي الربا وقد جاء علماء منصفون فاشاروا بأنه لا حل لمشكلات الغرب الا بالغاء الربا الغاءا تاما وهاتان المسألتان هما مصدر الخلاف بين العالم الاسلامي وبين الغرب كما أن كثيرا من العلماء الغربيين بدأ يتحقق اليوم عن الروح وعن الخالق العظيم .

عالمية الاسلام

إن المسلم مطالب بأن يعرف حقائق الاسلام الاساسية . وانه جاء لتحرير البشرية من الوثنية والعبودية والظلم والفساد وان أهم ما دعا اليه هو التوحيد الخالص في مواجهة التجسيم والتعدد وعبادة المال .

وقد قام هذا النموذج الرباني ومكن الله تبارك وتعالى له في الارض اكثر من الف عام ليضيء المشرق والمغرب .

قدم الاسلام المنهج الرباني الاصيل وقام الرسول صلوات الله وسلامه عليه على تطبيقه واستطاع خلفاؤه به - أي بالمنهج - التوسع حتى بلغ من حدود الصين إلى نهر اللوار ثم توقف عندما تخلى المسلمون عن الاستمساك بالمنهج الاصيل وغلبتهم عوامل الترف والتحلل .

وكان الغزو قد جاء بعد أن تراخى المسلمون عن اليقظة والرباط في الثغور فاستغل النفوذ الاجنبي الفرصة وقدم مخططاته للسيطرة على المجتمع الاسلامي وهو منهج جزئي انشطاري قوامه المادية وقد حجبت فيه القيم المعنوية والروحية وانفصل تماما عن الوحي والغيب والربوبية والنبوة .

ولكن «عالمية الاسلام» ظلت - بالرغم من الهزائم وسيطرة النفوذ الاجنبي - حقيقة ماثلة .

قال تعالى : **﴿وما ارسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لايعلمون﴾** . سورة سبأ الآية ٢٨ .

وتؤكد تعاليم الاسلام عالمية هذا الدين فهي انسانية عالمية تلبي حاجة كل المجتمعات على اختلاف الازمان والبلدان «على حد تعبير الدكتور محمد الدسوقي» حيث تخاطب الفطرة الانسانية وتنظر إلى الانسان نظرة واقعية وتحترم العقل البشري بل تجعله مناط التكليف وتسوي بين الناس جميعا في الحقوق والواجبات وليس في الاسلام تفرقة بين قيم ذاتية وقيم خارجية لأن الاسلام لايعنى بالمعاني المجردة أو القيم في ذواتها لأنه دين عملي اساسا يحكم على الانسان بما يتمثل في سلوكه العملي من القيم.

قال تعالى: **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾**. التوبة الآية ١٠٥.

والقيم الدينية ممثلة في العمل اساسا وبدون العمل لاتكون هناك قيم حقيقية وأهم القيم الدافعة إلى التقدم الحضاري هي:

أولا: قيمة التوحيد وما يستتبع من العقائد الايمانية الاخرى «وخاصة الاخلاق» وقد حارب الاسلام بها القيم المضادة كالشرك والوثنية على أن للايمان وظيفة اجتماعية كما انه اساس القيم الاخلاقية:

[لا إيمان لمن لا أمَانَ له].

[لايؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه].

[واكمل المؤمنين إيمانا احاسنهم اخلاقا].

ثانيا: قيمة العلم وهي عماد كل تقدم حضاري.

قال تعالى: **﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون﴾**. الزمر الآية ٩.

ومن هنا حرم الاسلام على المسلم التوجه الوثني في مظاهر الحياة والتوجه الهابط المثير للغرائز والمحيي لبواعث الاثم المحارب للفضيلة والمعادي للسمو الخلقي.

وقد صنع الاسلام للمسلمين وحدة فكرية هي الآن مصدر الحرب المعلنة على الفكر الاسلامي من الشيوعية والعلمانية والفكر الغربي.

فقد استطاع الاسلام بوحدة الفكر التي صنعها القرآن الكريم أن تنصهر الوانه المختلفة عربية وفارسية وهندية وتركية وافريقية وغيرها من الجنسيات والاعراق في بوتقة وُحِّدَت فيها الروح الاسلامية المستمدة من القرآن والسنة.

الباب الثاني

١ - القرآن الكريم: عطاء لا يتوقف

٢ - مصداقية القرآن في العلوم التجريبية

٣ - محمد ﷺ خاتم الانبياء والمرسلين

٤ - اللغة العربية الفصحى: لغة القرآن

٥ - المد الاسلامي



القرآن الكريم: عطاء لايتوقف

كتب الدكتور سميث باستور عميد كلية التثليث بجامعة اكسفورد تحت عنوان «حتمية انتصار القرآن» قال:

(لايستطيع بشر مهما بلغ من العلم ولاتستطيع هيئة مهما كان مركزها فى الفكر والثقافة أن تنال من المعجزة المحمدية فالقرآن يفوق كل ما يتصوره عقل بشر وقد أسأتُ كثيرا إلى محمد والقرآن ولكني اليوم اقدم اعتذارى علنا إلى محمد وإلى القرآن وليسمع ذلك كل من يريد الحقيقة).

ويقول مونتجمري وات: هذا القرآن اصدق كتاب سماوي عرفته البشرية فهو بين ايدينا كما انزل على محمد لم يزد فيه حرف ولم ينقص حرف وقد جاء هذا التصحيح من كثير من المنصفين سواء من اسلموا منهم امثال: محمد اسد وعبد الكريم جرمانوس ورجاء جارودي وموريس بوكاي ومراد هوفمان أو من لم يسلم امثال: سجرن هونكه وبرنارد شو وجوستاف لوبون وكارليل، جاء في السنوات الاخيرة ليكون رد اعتبار لاخطاء المتعصبين السابقين مثل شاخت، وجولد زيهر، وريثان، وزويمر.

وجاء بعد أن كتب عشرات من المبشرين والمغرَّبين امثال طه حسين، وعلي عبد الرازق، ولويس عوض، وسلامة موسى، وزكي نجيب محمود، وغيرهم ممن اعلنوا الحرب على السنة والسيرة واللغة العربية «لغة القرآن» ثم جاء رجع الصدى باديء ذي بدء بما

وضعه المقننون من رجال القانون الغربيين في مؤتمراتهم منذ ١٩٣٦م إلى اليوم مما يدل على اعتراف بعظمة الشريعة الاسلامية وصلاحيتها للبشرية كلها واستقلالها وتميزها عن القانون الروماني والقوانين الوضعية.

ثم جاءت مؤتمرات الاعجاز القرآني في الطب والعلوم التجريبية وجاء اسلمة العلوم والمناهج وتأصيل الفكر الاسلامي وتحريره مما ازعج امثال زكي نجيب محمود فأخذوا يهاجمون الاعجاز القرآني واسلمة العلوم بل واخفوا ما صرح به امثال الشيخ محمد عبده في كتابه «الاسلام والنصرانية بين العلم والمدنية» فانتزعوا من الكتاب كل ما يتصل باوربا والعرب والنصرانية واخرجوا كتابا مزيفا مضللا لايعترف به الشيخ محمد عبده ولا المحققون تحت اسم الاسلام بين العلم والمدنية وكان قد عمل على ذلك طاهر الطناحي ثم عاطف العراقي وكان الشيخ محمد عبده متفتحا حقا ولكن كان حريصا على الحق حين سأله تولستوي عن البهائية وعندما حاول فرح انطون ان يخدعه.

ولقد اعطى الاسلام عطاء بالغ العظمة والفضل من عند رب العالمين وهذا العطاء الذي قدمه القرآن تحت راية الاسلام للعالمين هو الذي يزعج المستشرقين والمنصرين والعلمانيين والتغريبيين اليوم ازعاجا شديدا فما تزال معطيات الاسلام قادرة نافذة تزحف في ثقة وتحتل في كل يوم مواقع جديدة.

واعظم معطيات الاسلام: وحدة البشرية تحت حكم الله وزوال التفاخر بالانساب والدماء حيث لا فضل لعربي على اعجمي ولا

لابيض على اسود وكذلك تحرير الانسان بوصفه انسانا من عبودية الانسان وعن عبودية الوثنية . وقد جعل القرآن المنطلق الحقيقي من ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وتنفي عنه مظاهر الوثنية ولا تمت إلى اليهود والنصارى بشيء ومن هنا فقد اصطلحت على خصومة الاسلام الوثنية واليهودية، الوثنية بحكم العصبية للعادات والتقاليد واعتقاد اليهود أن كل نبوة أو حكم أو كتاب لايمكن إلا أن يكون منهم فقد جعل الله تبارك وتعالى رسالة الاسلام التي تؤكد وحدانية الله جل جلاله الرسالة الخاتمة في فرع اسماعيل عليه السلام وذلك في علامات فارقه :

١ - صلاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم اماما بالانبياء جميعا في بيت المقدس .

٢ - نقل القبلة للصلاة من بيت المقدس إلى مكة المكرمة .

وهكذا جعل المنطلق الحقيقي هو ملة ابراهيم الحنيفية السمحة بعيدا عن وثنية اليهود وتثليث النصارى .

كذلك فقد دعا القرآن الكريم إلى أمة جماعية لاتعتمد على جذور العصبية السابقة فيها الاعتصام بحبل الله جميعا وفيها جعل الايمان ووحدة العقيدة اساسا للنصرة وذلك لتحل محل العصبية الجاهلية التي هي اساس النظام الجاهلي .

وهكذا دعا الاسلام إلى تغيير العصبية وتوسيع مدلولها إلى وجوب طاعة الله والرسول واولي الامر من المسلمين .

هذه واحدة اما الاخرى فان النظر إلى القرآن الكريم نظرة فاحصة

يكشف عن انه ينبه العقول إلى استخدام انواع النظر العقلي المختلفة مباشرا وغير مباشر فهو يدعو إلى استنباط نتيجة ثبت صحتها في معرض الاستدلال على العقائد النظرية .

«الآيات من آخر سورة يس» تراه يدعونا إلى استخدام المشاهد الحسية واستقراء الجزئيات من عالم الطبيعة ليصل بنا ذلك إلى معرفة القوانين العامة التي تسير هذه الطبيعة التي خلقها الله سبحانه وتعالى بمقتضاها .

وكان من اعظم ما قدم القرآن الكريم «وكله عظيم» قاعدة الاعتبار في الآية الكريمة : **﴿فاعتبروا يا أولى الابصار﴾** . سورة الحشر الآية ٢ .

والاعتبار هو القياس بنوعيه الفقهي والعقلي كما يقول العلماء . قال تعالى : **﴿أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الارض كيف سطحت﴾** . سورة الغاشية الآيات ١٧ - ٢٠ .

فكلمة «كيف» في هذه الآيات تعبر عن روح المنهج العلمي الحديث ذلك أن العلم في مفهوم علماء مناهج البحث المحدثة هو اجابة عن السؤال «كيف» وليس اجابة عن السؤال «لماذا» وقد اعطى الاسلام عددا من المناهج :

١ - منهج ابن الهيثم الذي سبق منهج بيكون التجريبي وما صرح به روجرز بيكون من انه استفاد المنهج التجريبي من العرب «وكان من مفكري القرن الثالث عشر الميلادي ومترجما في بلاط فردريك الثاني» .

وليس صحيحا أن مايدعو اليه القرآن هو العلم الديني وحده وإنما هو كل علم يدفع الجهل.

وكان القرآن الكريم وراء تقدم المسلمين في الاعتماد على العقل ودوره في استنباط الاحكام الشرعية وقد قال معاذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه إلى اليمن قاضيا : **[اجتهد رأيي ولا آلو]** - أي حين لايجد في القرآن والسنة نصاً يحكم به - .

«وقد اعتقد المسلمون أن العقل مصباح يستمد نوره من الوحي» وليس بمفهوم الغرب عن عقلانية المادية .

ولقد قدم القرآن الكريم عددا من العلوم والدراسات :

- كشف فساد الفكر اليوناني والفكر الباطني .

- قدم منهج ما وراء الطبيعة كاملا .

- قدم منهج سنن الحضارات والمجتمعات .

- كشفت الحفريات الاثرية والتاريخية عن حقائق القرآن في التاريخ القديم .

- كشف موريس بوكاي حقيقة اساسية : هي أن العلوم والمفاهيم التي قدمها القرآن الكريم لم يكن هناك انسان في هذا العصر يستطيع أن يقول إنه يعرفها فهي جديدة بالنسبة لعصر النبوة بعامة ومعنى هذا انها جاءت من مصدر أعلى : هو الحق تبارك وتعالى .

- كشفت الحفريات ضلال دارون في مقولة اصل الانسان فقد كشفت هذه الحفريات أن الانسان منذ نشأته الاولى كان مستقيم

القامة يمشي على قدمين .

- كان الاسلام علامة على انتهاء عصر الاساطير فقد قدم القرآن تصورا كاملا للميتافيزيقيا «عالم الغيب» . كما قدم منهجا كاملا للحياة يختلف عن منهج فلاسفة اليونان الذين اقروا عبودية الانسان للانسان وقالوا انها اساس الحضارة «ارسطو وافلاطون» .

- رسم القرآن للمسلمين وللبشرية كلها نظام المجتمعات من حيث التعارف والتعامل وكل مايتعلق بسياسة الامم واقتصادها واجتماعها وتربيتها .

مصداقية القرآن في العلوم التجريبية

دخل في الفترة الاخيرة في الاسلام عدد من الاعلام الغربيين المبرزين في بلادهم وفي حضارتهم وقد كانوا في مرحلة من حياتهم يبحثون عن الحق ويتطلعون إلى إيمان وعقيدة تعطيهم أمن النفس وسلامة القلب وسكينة الوجدان.

بعض هؤلاء درسوا الكتب القديمة وكشفوا عن مقولات فيها تختلف مع الحقائق التي وصلت اليها الحضارة والعلم التجريبي - الذي هو محايد بين الموالاة والخصومة.

وفي مقدمة هؤلاء موريس بوكاي والخمسة من علماء الدين المسيحي الذين كشفوا عن حقائق اللاهوت واختلافاته.

ومن هؤلاء ليوبولد فابس «محمد اسد» الذي كشف عن مفهوم المعرفة الاسلامي الجامع بين العلم والوحي.

ومن ذلك قوله: «إن العلوم الطبيعية وحدها لاتستطيع أن تساعدنا على اكتشاف كافة جوانب الحقيقة وحتى يزودنا الله تبارك وتعالى بالهداية الضرورية التي عجز العلم عن ارشادنا اليها ألهمنا اياها فيما سمي بالوحي الذي انزله على شخصيات مؤهلة تأهيلا خاصا لتلقيه يطلق عليهم اسم الانبياء». وقال: «إن الاسلام لاينظر إلى الحقيقة على نحو مزدوج ومن ثم لايستطيع المرء أن يوجد تناقضا بين حقيقة واخرى».

وأما بوكاي فقد درس الكتب المقدسة ليكشف عن الجوانب التي قدم العلم التجريبي فيها مقولة مختلفة فلما وصل إلى القرآن الكريم كان موقفه عصيبا .

يقول احد المترجمين له : «لقد اصيب بوكاي بالدهشة الشديدة عندما اكتشف لأول مرة عدم امكانية النيل من صحة القرآن على أساس نقاط ضعف مماثلة أو قريبة من ذلك كما ادهشه أن يعلم على النقيض من ذلك أنه لايوجد بيان قرآني واحد لايمكنه الصمود بصلابة للتمحيص العلمي سواء تعلق هذا البيان بالحقائق الكونية أو الوراثية أو الابحاث التي تجرى في أعماق البحر .

بل إنه وجد أن القرآن قد اثبت مصداقيته بالنسبة لما جاء فيه من تفصيلات حول نمو الجنين كما نعرفه اليوم والتي لم يمكن التحقق منها إلا اخيرا بفضل استخدام مجهر فاحص داخل الرحم .

وقد أداه هذا إلى القول : (في اعتقادي انه ليس ثمة تفسير طبيعي لظاهرة القرآن) . . » .

وفي الوقت الذي يقول العلماء التجريبيون ذلك نجد الماركسيون الملاحدة يقولون كلمات الشك والسخرية حين يقولون : إن القرآن داخل التاريخ وإن الاسلام داخل التاريخ بمعنى أنهما من افرازات المجتمعات وليسا من وحي السماء .

ومن المؤلفات الجديدة في الغرب كتاب رودولف هيلف «الاسلام قوة عالمية» يقول المؤلف الذي اعتنق الاسلام : «إن الاسلام كان لفترة قصيرة قوة مؤثرة في العالم وهو يتهيأ الآن لاستعادة دوره من جديد .

وإن كانت النظرة السريعة على العالم الاسلامي في الوقت الراهن تعطي صورة سيئة عن التمزق والخلاف إلا أن السياسي الخبير يدرك أن الاسلام الذي استطاع من قبل وفي فترة قصيرة للغاية أن يصبح ولمئات السنين القوة الكبرى في العالم لقادر على الاقل نظريا أن يصبح ذلك مرة اخرى.

ثم عدَّد المؤلف الاسباب التاريخية التي أدت إلى عداء أوربا للاسلام خالصا فقال: لما اخذت الدول الاوربية تنشأ منذ الف سنة وكان يقوم بجوارها عالم اسلامي يسبقها سبقا كبيرا في العلوم والحضارة، واصرت الكنيسة على نكران حقوقه خوفا من ضياع سلطاتها ودأبت على اعطاء صورة مشوهة عن المسلمين إلى أن قامت الحروب الصليبية وتحدث المؤلف عما اخذته اوربا من العالم الاسلامي الذي ظل يلهمها حتى بعد بدء عهد النهضة لفترة غير قصيرة وانتهى إلى التأكيد بأن الأمة الاسلامية اخذت في الصعود وتتأهب لاستعادة دورها من جديد».

وما يزال نور القرآن يكشف كل يوم وجها جديدا من وجوه المؤمنين به من العلماء بالرغم من تعصب الغرب ضد القرآن والاسلام.

لقد قدم الاسلام منهج العلم التجريبي الذي كشف حقائق القرآن وشكك في مقولات التجسيم والتثليث.

وجاء رجال ذهبوا إلى اوربا وقالوا إن المنهج العلمي هو اوربي فكذبتهم الحقائق وقال الشيخ المراغي في مقدمة كتاب حياة محمد للدكتور هيكل «إن المنهج العلمي اسلامي اساسا».

ومن العجيب أن يتداول الغربيون هذه العلوم ويقيموا على حقائقها القوانين والمخترعات دون أن يجدوا القدرة على الانصاف والتخلص من الهوى بالرغم من علمائهم الذين يقررون اليوم الحقائق بالنسبة فعلا لتحريم لحم الخنزير وبالنسبة لعسل النحل إلى عشرات الحقائق خاصة ما يتعلق بخلق الجنين في بطن أمه في الظلمات الثلاث والعمليات الجراحية والدورة الدموية.

محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين

لقد كان الرسول في نظر بعض الباحثين الغربيين اعظم الخالدين كما يقول مايكل هارت في كتابه «الخالدون مائة واعظمهم محمد» لامور عدة وليس لامر واحد يقول مايكل هارت:

(لقد اخترت محمدا صلى الله عليه وسلم في أول هذه القائمة ولابد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار ومعهم حق في ذلك. ولكن محمدا عليه السلام هو الانسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحا مطلقا على المستوى الديني والدنيوي فهو قد دعا إلى الاسلام ونشره كونه واحداً من اعظم الديانات واصبح قائدا سياسيا وعسكريا ودينيا. وبعد ثلاثة عشر قرنا من رحيله نرى أنَّ اثره مايزال قويا متجددا واكثر هؤلاء الذين اخترتهم قد ولدوا ونشأوا في مراكز حضارية ومن شعوب متحضرة سياسيا وفكريا الا محمدا صلى الله عليه وسلم فهو قد ولد سنة ٥٧٠ ميلادية في مدينة مكة جنوب الجزيرة العربية في منطقة متخلفة من العالم القديم بعيدة عن مراكز التجارة والحضارة والثقافة والفن؛ مات ابواه وهو صغير وكانت نشأته في ظروف متواضعة وكان لا يقرأ ولا يكتب وتزوج السيدة خديجة في الخامسة والعشرين ولما قارب الاربعين من عمره كانت هناك ادلة كثيرة على أنه ذو شخصية فذة بين الناس؛ وكان اكثر العرب في ذلك الوقت وثنيين يعبدون الاصنام.

وفي الاربعين من عمره امتلأ قلبه إيمانا بأن الله واحد احد وان وحيا ينزل عليه من السماء وأن الله تبارك وتعالى قد اصطفاه ليحمل

رسالة سامية إلى الناس؛ وجهر صلى الله عليه وسلم بالدعوة فتحول قليلون إلى الاسلام ثم هاجر إلى المدينة المنورة حيث اكتسب الاسلام مزيدا من القوة واكتشف رسوله عددا كبيرا من الانصار وكانت الهجرة إلى المدينة نقطة تحول في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وفي السنوات التالية تزايد عدد المهاجرين والانصار واشتركوا في معارك كثيرة بين اهل مكة واهل المدينة وانتهت بدخول الرسول منتصرا إلى مكة وقبل وفاته بعامين ونصف شهد الناس يدخلون في دين الله افواجا.

استطاع رسول الله أن يوحد بين عرب الجزيرة تحت اسم التوحيد والايمان ومن ثم استطاعت جيوش المسلمين الصغيرة المؤمنة أن تقوم باعظم غزوات عرفتها البشرية فاتسعت الارض تحت اقدام المسلمين من شمالي شبه الجزيرة العربية وشملت الامبراطورية الفارسية على عهد الساسانيين وإلى الشمال الغربي اكتسحت بيزنطة والامبراطورية الرومانية الشرقية.

ثم انتزع العرب مصر من الامبراطورية البيزنطية كما هزموا القوات الفارسية في موقعة القادسية في ٦٣٧ وفي موقعة نينوى ٦٤٢.

ولم تكن هذه الانتصارات الساحقة في عهد الخليفتين ابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب نهاية الزحف العربي والمد الاسلامي في العالم فقد اكتسحت القوات الاسلامية بعد ذلك شمال افريقيا حتى المحيط الاطلسي ثم اتجهت القوات الاسلامية بعد ذلك إلى مضيق جبل طارق وعبروا إلى اسبانيا وساد اوربا كلها شعور في ذلك الوقت

بأن القوات الاسلامية تستطيع أن تستولي على العالم المسيحي كله .

ثم تراجع المسلمون بعد في موقعة تور «بلاط الشهداء» وبالرغم من ذلك فقد استطاع هؤلاء المؤمنون بالله وكتابه ورسوله أن يقيموا امبراطورية واسعة ممتدة من حدود الهند حتى المحيط الاطلسي وهي اعظم امبراطورية اقيمت في التاريخ حتى اليوم وفي كل مرة تكتسح هذه القوات بلدا فانها تنشر الاسلام بين الناس .

وظلت الديانة الجديدة تتسع على مدى القرون التالية فهناك مئات الملايين في وسط افريقيا وباكستان واندونيسيا ؛ بل إن الاسلام قد وحَّد بين اندونيسيا المتفرقة الجزر والديانات واللهجات وفي شبه القارة الهندية انتشر الاسلام وظل على خلاف مع الديانات الاخرى .

وكان للاسلام أثر عميق في حياة المؤمنين به ولذلك فمؤسسو الديانات الكبرى ودعاتها موجودون في قائمة المائة الخالدين .

وربما بدا شيئا غريبا حقا : أن يكون الرسول محمد صلى الله عليه وسلم على رأس هذه القائمة رغم ان عدد المسيحيين ضعف عدد المسلمين ، وربما بدا غريبا أن يكون الرسول عليه السلام هو رقم واحد في هذه القائمة ولكن لذلك اسباب من بينها أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قد كان دوره اخطر واعظم في نشر الاسلام وتدعيمه وارساء قواعد شريعته اكثر مما كان لعيسى عليه السلام في الديانة المسيحية وعلى الرغم من أن عيسى عليه السلام هوا لمسؤول عن مباديء الاخلاق في المسيحية غير أن القديس بولس هو الذي ارسى اصول الشريعة المسيحية وهو ايضا المسؤول عن كتابة الكثير مما جاء في كتاب «العهد الجديد» .

اما الرسول صلى الله عليه وسلم فهو المسؤول الاول والاوحد عن ارساء قواعد الاسلام واصول الشريعة والسلوك الاجتماعي والاخلاقي واصول المعاملات بين الناس في حياتهم الدينية والدنيوية .

كما أن القرآن الكريم قد نزل عليه وحده وفي القرآن الكريم وجد المسلمون كل ما يحتاجون اليه في دنياهم وآخرتهم .

والقرآن الكريم نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم كاملا وسجلت آياته وهو مايزال حيا وكان تسجيلا في منتهى الدقة فلم يتغير منه حرف واحد وليس في المسيحية مثل ذلك فلا يوجد كتاب واحد محكم دقيق للتعاليم المسيحية يشبه القرآن الكريم وكان اثر القرآن الكريم على الناس بالغ العمق ولذلك كان اثر محمد صلى الله عليه وسلم اكبر اثرا) . أ . هـ .

وهكذا نجد عالما فلكيا رياضيا غربيا منصفا يشهد بأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو النبي الوحيد الذي استطاع أن يكمل رسالته بأن يقيم دولته وكذلك الكتاب المنصفين امثال كارليل ولورد هولي وايتان دينيه وتولستوي وجارودي من اسلم منهم ومن لم يسلم كلهم قالوا كلمة الانصاف ؛ يقول مايكل هارت :

(لقد استطاع النبي محمد صلى الله عليه وسلم بدعوته أن يقيم امبراطورية واسعة ممتدة من حدود الهند حتى المحيط الاطلسي وهي اعظم امبراطورية اقيمت في التاريخ حتى اليوم وقد نشر المسلمون الاسلام في كل بلد حكموها) .

يقول كارليل : (لقد احببت محمدا صلى الله عليه وسلم لخلو

نفسه من الرياء والنفاق وبراءتها من التصنع والطمع وحب الدنيا ولقد كان صوت محمد آتيا من قلب الطبيعة الصحراوية النقية الطاهرة ولهذا دلف من الاذان إلى القلوب واستقرت كلماته فيها ولم يكن محمد متكبرا ولا ذليلا ولم يتحرك خوفاً من الاوهام الباطلة ومن مكانه المتواضع وثوبه المرقع خاطب الملوك والقياصرة موجها مرشدا ومنذرا محذرا ايضا انه لم يخش في الحق لومة لائم ولم يقبل ما عرض عليه من مال وجاه وسلطان وعاش زاهدا متقشفا عاملا على نشر دينه غير عابيء بما يلاقيه من اهوال وما يعترض سبيله من عقبات).

أما اللورد هدلي فيقول كلاما آخر:

(اني اشكر الله أن هداني للاسلام الذي اصبح حقيقة راسخة في فؤادي وجعلني التقي بسعادة وطمأنينة لم التق بها من قبل، لقد كنت في سرداب مظلم ثم اخرجني الاسلام إلى فسيح من الارض تضيئه شمس النهار.

انا في حاجة إلى نموذج كامل يفي باحتياجاتنا في الحياة وشخصية محمد النبي المقدس تسد تلك الحاجة فهي مرآة تعكس علينا السخاء والكرم والشجاعة والاقدام والصبر والحلم والوداعة والعفو والتواضع والحياء وانا لنرى ذلك في شخصيته بألوان وضاءة).

ويقول دكتور جرينيه: (لقد اسلمت لأني تأكدت من أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد أتى بالحق الصراح من قبل أن نصل اليه في عصرنا الحديث باكثر من ألف عام واكاد اجزم لو أن كل صاحب فن

أو علم قارن بين ما جاء في القرآن الكريم خاصا بعلمه أو فنه ومعلوماته الحديثة - كما فعلت أنا - لدخل في الاسلام كما دخلت إلا من كان معرضا أو في قلبه مرض).

ويقول رينيه جونيو «عبد الواحد يحيى، بعد اسلامه»: (لقد اردت أن استعصم بنص إلهي مقدس لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فلم اجد - بعد الدراسة الطويلة العميقة - سوى القرآن الكريم فهو الكتاب الوحيد الذي اقنعني وأمن على ما جاء في قلبي ورسول الاسلام هو الرسول الذي احببته وسعدت بالسير تحت لوائه وغمرتني افعاله واقواله بالسعادة النفسية والسكينة الروحية ولولاه لغرقت الانسانية في بحار المادية والالحاد والانحلال الخلقي والدمار الروحي).

اما الفنان العالمي «اتيان دينيه» بعد اسلامه فيقول: (إن العقيدة المحمدية لا تقف عقبة في سبيل التفكير وقد يكون المسلم مسلما صحيح الاسلام وفي نفس الوقت حر التفكير).

ويقول تولستوي: (لاريب أن هذا النبي من كبار المصلحين الذين خدموا الانسانية خدمات جليلة ويكفيه فخرا انه اهدى أمته بأكملها إلى نور الحق وجعلها تجنح إلى السلام وتكف عن سفك الدماء كما يكفيه فخرا أن فتح الطريق إلى الرقي والتقدم).

اما جارودي فيقول بعد رحلة بين الاديان والعقائد والايديولوجيات: (إن الاسلام هو الدين الحق وأن فيه الحل الوحيد لانقاذ البشرية التي تحتضر في مواجهة المصير المظلم الذي أوصلتها اليه اديانها البالية وايديولوجياتها الخداعة الفاشلة.

لقد اعترف الاسلام بأهل الكتاب «اهل التوراة والانجيل» وترك لهم حرية الاختيار بين ما هم عليه والدخول في الاسلام والرسول محمد صلى الله عليه وسلم يقول : [لافضل لعربي على اعجمي إلا بالتقوى] فالناس يتمايزون في الاسلام بالتقوى ويتفاضلون بالعمل الصالح لا بالغنى والجاه والحسب والنسب فالكل امام الله سواء فلا طبقية ولا امم مختارة أو عناصر متميزة والاسلام دين الاخاء والتكامل الاجتماعي والمساواة في اجمل صورها). أ. هـ.

هذا وبالله التوفيق.

اللغة العربية الفصحى - لغة القرآن

ركز التغريب على ثلاثة حصون كبرى في الاسلام:

١ - اللغة العربية - من اجل تشويه مكانة القرآن الكريم.

٢ - التاريخ - من اجل تشويه كفاح المسلمين في مواجهة العدو.

٣ - التراث - من اجل الحيلولة دون ربط المسلمين حاضرهم بماضيهم.

ولقد عمل الاستشراق والتنصير والغزو الفكري في المجالات الثلاثة. ولما وجدوا أن التنصير لم يحقق اهدافهم في احتواء اللغة العربية وتشويهها والتشكيك فيها نزل المستشرقون إلى ميدان العمل الاكاديمي حتى يسهل عليهم نشر افكارهم بين المثقفين المسلمين وقد انتقل الاستشراق في العقود الاخيرة إلى مرحلة خطيرة عن طريق كراسي تعليم اللغة العربية في الجامعات الاوربية «كما نص على ذلك قرار المجمع الكنسي في فيينا عام ١٩١٢م» حين اعتبر هذا القرآن مدخلا إلى استغلال التعليم العالمي وتسخيره لخدمة الاستشراق في اشهر جامعات اوربا «باريس - اكسفورد - كمبردج» والتأكيد على أن الهدف من كرسي اللغة العربية انما هو توسيع حدود الكنيسة ونشر المسيحية بين المسلمين الذين يرسلون إلى الجامعات الغربية «وقد نص على ذلك صراحة في قرار انشاء كرسي اللغة العربية في جامعة كمبردج ١٩٣٦». آية ذلك أنك تجد أولياء هذه الجامعات حين تسألهم عن الاستشراق يقولون كلمات ماكرة

مضمونها أنهم ليسوا ضد الاستشراق وليسوا ايضا مع الاستشراق .

وقضية «الابتعاث» بين البلاد العربية والاسلامية إلى جامعات الغرب لا تتوقف ولم توضع لها حتى اليوم ضوابط تحمي الشباب المسلم من الرحلة إلى الغرب سواء في نفسه وكيانه أو في عقله وثقافته .

وذلك منذ انتقل تدريس اللغة العربية للمبعوثين العرب في اوربا من أروقة الكنائس والكاتدرائيات إلى قاعات المحاضرات في الجامعات فاصبحت اكبر مراكز التهجم على الاسلام هي كليات الدراسات الاسلامية في الجامعات الامريكية «برنستون - هارفارد» اللتين حصلتا على اعانات مادية من بعض الاوساط العربية مع الاسف ومن هؤلاء الذين تخرجوا من ينادون الآن في بلادهم بالتنوير والحداثة والعلمانية والدعوة إلى تطوير الاسلام ونبذ الشريعة الاسلامية .

وكان هذا الهدف الذي يتحقق في العقود الاخيرة أملا يراود اقزام الاستعمار منذ وقت بعيد حيث يقول «شاتليه» : (ارجو أن يخرج هذا التعليم إلى حيز العمل ليبث في دين الاسلام التعاليم المستمدة من المدرسة الجامعة الفرنسوية) .

ولم يتوقف الغزو الفكري ضد اللغة العربية على اليهود والنصارى وليس على الفكر الليبرالي بل هو ممتد إلى الشيوعية والماركسية هؤلاء الذين استقطبوا عددا كبيرا من الشباب المسلمين للدراسات في جامعة موسكو وبراغ واليوم وهم يرون كيف تسقط الشيوعية لايعتبرون بل ينتقلون فورا إلى صفوف الحرب ضد الاسلام نفسه .

وكان زويمر قد كشف موقف المسلمين من مدارس الارساليات فاعلن انهم سينشئون المدارس العلمانية ويسهلون الالتحاق بها في مواطن المسلمين انفسهم، هذه المدارس التي تساعدنا في القضاء على الروح الاسلامية عند الطلاب.

ولقد وضعت اكبر جامعة من الارساليات لتواجه الازهر الشريف فالبعثات تعمل في الخارج والارساليات تعمل في الداخل وهم يجبرون الطلاب في الدخول إلى الكنيسة يوم الاحد بدعوى تعلم الحقائق الكبرى التي في التوراة وأن تكون مركزا للتنوير المسيحي «التنصير» والتأثير المسيحي «الاستعمار».

اضف إلى هذا كليات البنات التنصيرية حيث تقول المسؤولة عن الكلية: (ليس ثمة طريق إلى محاصرة الاسلام اقصر مسافة من هذه المدرسة) وهم في هذه الارساليات يدرسون النظم السياسية والاقتصادية كما تعرفها اوربا وليس هناك بديل اسلامي لعلوم الاجتماع والاقتصاد والنفس وغيرها حيث يدرس نظريات العلماء الغربيين والفروض وردود الافعال لمجتمعهم على انها مسلمات وعلوم وقوانين لاتقبل المراجعة أو النقض.

كل كتابات «سان سيمون، أوجست كونت، دوركايم، ليفي بريل، ديفيد هيوم، آدم سميث، هربرت سبنسر، فرويد، ماركس، انجلز، مندل، دبوي، برتراند رسل، لاسكي» ليس فيها دراسة عن شخصية عربية أو اسلامية. وفي البلاد الاسلامية حوصر الاسلام وتراجعت اللغة العربية وحرص المستعمر على أن يفرض لغته ويفرض عامية الاقطار الافريقية والآسيوية حتى تتراجع اللغة العربية

حيث تعلن الحملة على لغات الشعوب المعنوية بأنها عاجزة عن حمل الاقطار الحديثة والمفاهيم العلمية ولاتصلح للثقافة والبحث والهدف هو طمس الهوية والقضاء على ذاتية المسلمين .

ولما كانت اللغة هي رمز الانتماء فان التعليم يجب أن يكون باللغة العربية «وهي لغة الثقافة والعقيدة لهذه الاقطار» وان لغات افريقيا الهوسا والسواحيلية متأثرتان بالعربية إلى حد كبير ويمكن أن ينوبا عنها في مستقبل قريب من خلال صحوة اسلامية عمادها القرآن الكريم والعربية الفصحى .

المد الاسلامي

من أفريقيا السوداء إلى اقاصي سيبيريا . . ومن المحيط الاطلسي إلى المحيط الهادي ومن افريقيا السوداء إلى حدود سيبيريا بدأ صوت الاسلام يرتفع من جديد ناشراً راية الاسلام فكما ان راية الاسلام بدأت تحقق من جديد بعد طول غياب في بعض الاماكن بينما هي تستعد للارتفاع في مناطق اخرى .

هذا ما تكتبه جريدة «باري ماتش» الفرنسية . اما مجلة «لوبون» الفرنسية ايضا فانها تفرد عدة صفحات عن «محمد صلى الله عليه وسلم» وكيف حول قبائل كافرة على هامش الدنيا إلى أمة مؤمنة غيرت العالم .

تقول الصحيفة : اصاب القلق بعض الجاليات الاسلامية في باريس عند ما خرجت احدى المجلات وعلى غلافها رسم كبير زعمت انه يمثل «النبي» محمداً صلى الله عليه وسلم وابنته فاطمة وزوجها علي بن ابي طالب تحت عنوان كبير «الحياة الحقيقية لمحمد» .

فالرسم ممنوع للانبياء جميعا في التقاليد الاسلامية فتصور الكثيرون أن هذه بداية حملة ايديولوجية ضد الدين الاسلامي كونها رد فعل ولكن عند ما تقرأ ما كتبته مجلة «لوبون» في ست عشر صفحة متتالية تستطيع أن تعرف أن هناك اصواتا في الغرب تفرق بين الدين الاسلامي وبين محاولات الذين يصرون على تشويهه .

وتصدر هذه الصفحات في وقت تدق فيه وسائل الاعلام الغربية منذ سنوات على نغمة واحدة هي الهجوم على الدين الاسلامي وتقديمه كأنه الخطر الجديد بعد زوال النظرية الشيوعية .

وتقول المجلة إن محمداً اسم يتردد يوميا على ألسنة مليار مسلم حول العالم وحالَيا يعد دين الاسلام الدين الثاني في فرنسا بعد المسيحية . وما يثيره المتطرفون مقلق ولكن عند دراسة حقيقة الاسلام وطبيعته ورسوله يتضح لنا مدى بعد طبيعة هذا الدين عن عنف وتعصب المتطرفين .

ثم تقول : (ولم يتردد اسم رجل مثلما يتردد اسم محمد ولم يؤثر رجل في ارواح وقلوب هذا الكم من البشر مثلما أثر محمد «صلى الله عليه وسلم» من جبل طارق إلى موزمبيق إلى سيبيريا حيث يحمل الاسم الصلة التي تربط الارض بالسماء .

يوجد حاليا مليار مسلم على ظهر الارض «الحقيقة انه مليار و٢٠٠ مليون» ومن المتوقع أن يصل إلى مليارين عام ٢٠٥٠م أي بعد ثلاثة عشر قرنا ونصف القرن من رحيله «من اختياره الرفيق الاعلى» مازال محمد في قمة سلطته ولم يفقد الرسول محمد قوته بمرور الزمن فليس له صلة بالحضارة اليهودية المسيحية ولكنه من بيئة مختلفة تماما) . أ . هـ . وليست هذه هي اول الاعترافات من المنصفين ولا هي آخرها فقد تعددت الجوانب التي عنى بها بعض كتاب الغرب .

١ - الشريعة الاسلامية : - يقول ايزيكوا نسايانو إن الشريعة الاسلامية تفوق في كثير من بحوثها الشرائع الاوربية بل هي التي تعطي العالم اوسع الشرائع بحثاً .

ويقول جيبون: (إن البشرية لتفخر بانتساب رجل كمحمد اليها اذ انه رغم اميته استطاع قبل بضعة عشر قرنا أن يأتي بتشريع سنكون نحن الاوربيين اسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد الفي عام.

وجاءت الشريعة الاسلامية عامة في احكامها يخضع لها اعظم ملك واقل صعلوك فهي شريعة حيكت باحكام وليس لها مثيل في العالم).

٢ - الاخاء البشري: ابطل الاسلام العصبية العرقية وشق الطريق إلى الاخاء الانساني.

٣ - لم يفرق بين الابيض والاسود.

٤ - الوحدة الاسلامية التي هي حقيقة واقعة تزداد على الايام قوة ورسوخا.

ويؤكد الباحثون المنصفون من غير المسلمين قضية: حرية العقيدة فيقول الدكتور غالي الذهبي ان الاسلام اكد حرية العقيدة في آيات كثيرة:

﴿**لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى**﴾. البقرة الآية ٢٥٦.

﴿**فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب**﴾. سورة الرعد الآية ٤٠.

﴿**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**﴾. سورة الكهف الآية ٢٩.

كما حدد الاسلام منهج الدعوة إلى الله:

﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن إن ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين**﴾. سورة النحل الآية ١٢٥.

وقال جوستاف لوبون : (إن مسامحة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمة للغاية ولم يقم بمثلها مؤسسو الاديان التي ظهرت قبله كاليهودية والنصرانية وقد سار خلفاؤه على سنته) .

وقال روروولستون في كتابه «تاريخ شارلكان» : (إن المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين القوة لديهم وروح التسامح نحو اتباع الاديان الاخرى وانهم مع امتشاقهم السهام نشرا لدينهم تركوا من لم يرغبوا فيه احرار في التمسك بتعاليمهم الخاصة) . أ . هـ .

وهذا كله مصدر السؤال المثار : لماذا ينتشر الاسلام اليوم في العالم بهذه السرعة؟!

الباب الثالث

١ - التأصيل الإسلامى والمجتمع المعاصر.

٢ - المجتمع المسلم والحضارة الغربية.

٣ - حماية المجتمع الإسلامى من العبودية لغير الله.

٤ - حقوق الإنسان فى الإسلام.

٥ - الشورى والديمقراطية.

٦ - الانتماء والهوية.

٧ - العروبة والإسلام.

٨ - حقوق المرأة في الإسلام.

٩ - المؤامرة على المرأة المسلمة.

التأصيل الإسلامي والمجتمع المعاصر

إن أبرز معالم المجتمع الاسلامي هو أنه من صنع الاسلام نشأ بنشأته وتكون بتكوينه وانه بني منذ اللحظة الاولى على الايمان بالله وتحقيق ارادته في الارض، ومن هنا فقد دعا الاسلام إلى بناء الفرد اولا ثم تشكل الجماعة من خلال الافراد دون أن يفقد الفرد ذاتيته «وذلك خلاف مفهوم اعلاء الفرد في الليبرالية واعلاء المجتمع وسحق الفرد في الشيوعية».

اما الفرد في الاسلام فهو فرد وهو في نفس الوقت عضو في جماعة فهو يتحرك بين الفردية والجماعية دون ان تفقد ذاتيته وانما يصبح قادرا على التسامي فينقل من الانانية إلى الغيرية ومن تحقيق مطامعه الخاصة إلى رعاية الجماعة والتضحية من اجلها.

فالاسلام ينظر إلى الانسان على انه اعظم الاحياء وهو سيد الكون تحت حكم الله والرجل والمرأة متساويان في الحقوق للرجال على النساء درجة هي درجة القوامة التي هي ادخل في باب الحماية والرعاية، ومنهما تتكون الاسرة التي هي البناء الحقيقي للأمة وقد جاء الاسلام باقوى عقيدة توازن بين الفرد والجماعة اذ تقوم الرابطة على اساس التكافل والتعاون، وتتم العلاقة على اساس الاخوة والبذل والرحمة والانفاق والتضحية.

وبذلك فالمجتمع الاسلامي يمثل طرازا فريدا من التعاطف الانساني حيث يقوم على أمرين اساسيين:

الاول : التعاون بين جانبي الفرد «الروح والمادة».

الثاني : التوازن بين الفرد والمجتمع.

فالفرد يتكون من جانبين متقابلين أو متنازعين، يتكون من الايمان الذي يوحي اليه بالاعتدال ومن الهوى الذي يوحي اليه بالتطرف قال تعالى : **﴿وهديناه النجدين﴾** ويتكون من وجدان وعقل، ومن هوى وايمان ومن روح وجسم كل منهما يتجه إلى مصدره : الروح إلى الملأ الاعلى والجسم إلى الارض فالاسلام يدعو إلى التوفيق بين شطري الانسان ثم يعد الانسان بهذا التسامي أن يكون في خدمة الجماعة ويعمل الانسان الممتاز إلى درجة البذل والتضحية والفداء، والاسلام يقر طبيعة الانسان على حقيقتها «مادية وروحية» وبذا لايحول بينه وبين رغائبه من متاع الحياة المادي لكنه يحيط ذلك بضابط يجعله اقرب إلى الاعتدال وابعد عن الاعتداء على حقوق الآخرين.

ثم يدعو الاسلام الرجل المسلم إلى اقامة الاسرة لتكون منطلقاً لاكمال دينه من حيث تنظيم رغائبه وغاياته عن الطريق الصحيح فاذا هو اقامها دعاه إلى اقامة التوازن بين الاسرة الكبرى والاسرة الصغرى؛ قال تعالى :

﴿وبالوالدين احسانا وبذى القربى﴾ سورة النساء الآية٣٦.

ويدعوه إلى الانفاق على الاهل والجار ومنها إلى اليتامى والمساكين وكل من يتصل به؛ وهكذا يقدم الاسلام اعظم نموذج للمجتمع الانساني السليم.

ونحن نجد اليوم أنه قد زحفت مفاهيم خطيرة من المجتمعات

الغربية تحاول أن تقتلع قيمنا وهناك دعوة ملحة إلى التبعية تفرضها الانظمة المتداخلة وخاصة فيما يتعلق بامور الاستهلاك الوافدة وما يرتبط بها من عمليات الاقتصاد الربوي وغيره فضلا عن اخطار الفنون الوافدة عن طريق المسرح وادوات الترفيه.

وفي ضوء هذه الحملة الزاحفة لنا أن نتساءل: ماذا يتطلب نمو المجتمعات وتقدمها واستمرار حركتها حتى لاتقع في أزمة التخلف والجمود؟ هل هو يتطلب التخلص من كل مقومات الثبات في المجتمعات على طريق الحركة الحرة التي لاترتبط بأي ضوابط أو نظم والتي ترى أن الاخلاق والقيم تتغير بتغير البيئات أو تتطور بتطور المجتمعات بحيث لاتفيد المجتمع في أي شيء.

الواقع اننا نحن المسلمين لانقبل نظرية الغرب التي تقول إن تحرك المجتمع من خلال ثوابت «الدين والاخلاق» يؤخرها ويعيق حركتها ويحول بينها وبين التقدم ويجعلها تتخلف عن ركب الحضارة.

وتؤمن ايمانا وثيقا بأن ضوابط المجتمع التي وضعها الدين الحق - ووضعها الاسلام اساسا - وفي مقدمتها قيم الاخلاق وكونها من المقررات الثابتة لايمكن أن تعيق حركة المجتمع ولاتقدمه لانها تحميه من التمزق والاضطراب أو الانهيار اما العوامل التي تعيق حركة التقدم في المجتمع من امثال العادات أو الاعراف أو التقاليد التي تنشأ نتيجة أوضاع المجتمعات نفسها فإن الاسلام يدعو إلى التخلص منها وتجاوزها وفي مقدمتها عوامل الترف والانحلال وانهيار الاسرة وغلبة الشهوات والمطامع والأثَرَة، كل هذه يحاربها

الاسلام ويقاومها، في سبيل حماية المجتمع واستبقائه في مجال الحركة والقدرة على العمل والكسب الحلال وحماية تكوينه من الانهيار تحت تأثير الخمر والبغاء والصراع الداخلي.

ولقد كانت المجتمعات الاسلامية قادرة دائما على التحرر من اخطار الانحراف والعودة مرة اخرى إلى المنابع والتماس مفهوم الاسلام في المسؤولية الفردية والالتزام الاخلاقي.

وكذلك فإن الاسلام لايقبل التضحية بالضوابط والحدود التي اقامها لحماية المجتمع وتحصينه من خطر الانهيار والتفكك. نعم، لايقبل التضحية بذلك من اجل مفهوم التقدم الغربي أو الماركسي المطلق الذي يضحي بالقيم الروحية والاخلاقية في سبيل الوصول إلى التقدم المادي وحده.

ونحن في هذا المجال لانقبل النظرية الغربية في نسبية الاخلاق ولا التطور المطلق للمجتمع، ولانقر تغيُّر ثوابت الاخلاق بتغير احوال المجتمع أو عصورها ونرى انها من العوامل الاساسية في انهيار المجتمع الغربي وفساده واضطرابه والمسلمون لايضحون سلامة ذاتيتهم الاسلامية القرآنية في ضوابطها واوضاعها التي قررها الاسلام في سبيل الوصول إلى أي عطاء مادي مهما بلغ قدره، وعندما يكون هناك مفاضلة بين التقدم المادي وتضحية القيم فإن المسلمين يرفضون هذه النظرية تماما هذا مع العلم بأن التقدم الجامع في مفهوم الاسلام الذي يراوح بين المادة والروح لايتطلب التضحية بالقيم أو تجاوز الضوابط والحدود.

ويقرر كثير من الباحثين المعاصرين أن نزول القرآن الكريم كان

بمثابة البداية الحقيقية لوضع نسق فكري شامل تتعلق بالحقيقة الاجتماعية فقد تضمن القرآن أول اطار لتنظيم الحقائق المتصلة بمختلف الظواهر الاجتماعية والثقافية والعقلية باعتبارها اسس كلية ذوات معنى .

هذا المجتمع الاسلامي الذي يمثل نموذجا متفردا من الشكل الذي رسمه القرآن الكريم هو اليوم موضع التآمر من قوى كبرى من أجل هدمه وتدميره حتى لايكون عامل قوة أو اسعاد للبشرية التي ارتكست في المادية .

تجري عملية الهدم عن طريقين :

الاول : تدمير الشباب المسلم وافساده واغرائه بكل الوسائل من اجل تحطيم قوته ومقاومته «ويجري ذلك وفق مخططات خطيرة» باحتوائه بالاباحية والخمر والمخدرات والافساد والتدمير وادخاله في دوائر خطيرة من تجمعات الشباب العالمي للقضاء على تميزه الروحي والمعنوي في محيط اباحي وثني غربي خطير دون أي حماية خلقية أو ستار روحي .

الثاني : العمل على تحديد النسل تحت اسم عبارة خطيرة خادعة هي عبارة «الانفجار السكاني» وتقديم معونات ضخمة للدول لتحديد نسل اهلها بعد التضييق عليها اقتصاديا وايقاعها في براثن الاستدانة مع انها تملك من المقدرات ما يحميها من كل هذه الشرور .

الثالث : تدميره ثقافيا بعرض نظريات خطيرة تتعارض مع مفاهيمه الاسلامية في مقدمتها نظرية داروين ونظرية فرويد ونظرية

دوركايم وتقديم الاسلام اليه على انه دين عبادي لاهوتي وليس منهج حياة ونظام مجتمع .

رابعا : ظاهرة انتشار الكتب الجنسية التي تباع بأسعار رخيصة لها عناوين خطيرة مثل : «نداء الجسد - رغبة الانثى - لن اخلع ثوبي - لن اقول لا» وما تقدمه هذه الكتب ليس مفهوما صحيحا للجنس ولكنه مفهوم دخيل ومشوش يحاول اختراق الشباب الغض وينقله إلى ميادين خطيرة تحطم كيانه النفسي والجنسي وتتركه في محيط مظلم وهو نوع من الانحراف الفكري وترويج تجارة الجنس مما يسمى ادب الفراش «الذي عرف به احسان عبد القدوس ونجيب محفوظ» في مصر مثلا .

واننا من اجل علاج ظواهر انحراف المجتمع اليوم وظاهرة العنف الواضحة علينا أن نبدأ بخطة اصلاح اساسية قوامها :

اولا : اعادة رسم خريطة مسؤولية الآباء والامهات وتقليل المشغولية الخارجية وخاصة للام والتركيز على الدور الاساسي في حماية الاطفال .

ثانيا : اعادة تشكيل برامج التعليم واحياء مفهوم القدوة .

ثالثا : اعادة النظر في برامج البث الاذاعي والتلفازي وتحريرها من الجنس والجريمة جميعا .

رابعا : تكوين الابناء على الايمان بالله والمحافظة على حدوده .

خامسا : وضع الحدود والزواجر الاسلامية موضع التنفيذ .

سادسا : افساح الطريق للشباب امام ملىء فراغه النفسي والديني والاجتماعي على نحو ايجابي كريم يرتفع به .

سابعا: تيسير الحياة الاجتماعية بحيث يمكن للشباب أن يقبل على الزواج في سن مبكرة ولا يظل قلقاً.

ثامنا: تحقيق مظاهر الانحراف في الصورة الاجتماعية التي تهز نفسية الشباب بمظاهر العري والانحراف والزحام في الاتوبيسات.

أسلمة العلوم

لقد تجلت في السنوات الاخيرة ظاهرة اسلمة العلوم والمناهج وبالنسبة لعلم الاجتماع اشار دكتور محمد كمال امام في بحثه عن اسلمة علم الاجتماع إلى أن العالم الباكستاني «بشارات علي» استطاع الوصول إلى تصور اسلامي لعلم الاجتماع مستمد من القرآن الكريم وقال إن القرآن الكريم كان البداية الحقيقية لوضع نسق فكري شامل يتعلق بالحقيقة الاجتماعية.

ولقد تضمن القرآن الكريم بوصفه كتابا انزل إلى البشرية جمعاء أول اطار لتنظيم الحقائق المتصلة بمختلف الظواهر الاجتماعية والثقافية والعقلية باعتبارها كتابات كلية ذوات معان ولم يضع القرآن الكريم الفكر الاجتماعي داخل اطار منظم فحسب ولكنه صاغ الاساس القيمي الاكسيولوجي للمعرفة الاجتماعية ككل بحيث اخذ مفكرو الاسلام في ضوء تعاليم القرآن الكريم ومبادئه ينطلقون نحو بحث ودراسة مختلف فروع المعرفة واستطاعوا أن يصوغوا نسقا جديدا من المعرفة اطلق عليه «علم المجتمع».

ولقد كانت اسهامات العلماء المسلمين في هذا المجال هامة بل

إن النشأة الاولى لعلم الاجتماع بدأت فعلا على يد ابن خلدون وليس اوجست كونت ولم يكن ابن خلدون علما مفردا لاسابق له ولا لأحد مثله كما تصوره المستشرقون لابرازه كاستثناء وليس دليلا على ابداع العقل الاسلامي فقد كان ابن خلدون مسبوقا بالكثير من امثال الامام الغزالي وابن رضوان «في الشهب اللامعة» وجاء الينا من بعده كثيرون لعل اشهرهم ابن الازرق صاحب بدائع السلك وهو اعظم من كتبوا في علم الاجتماع السياسي في الاجيال التالية لابن خلدون ثم المؤرخ المصري تقي الدين المقريزي الذي لايزال مغبونا في تحليل دوره في علمي السياسة والاجتماع اذ اضاف اضافات مهمة يجاوز بها استاذه ابن خلدون .

وقد كشف بشارات علي في كتابه «علم الاجتماع في ضوء القرآن» كل جوانب هذه المساهمات سواء في النصوص الاسلامية أو من خلال المفكرين الاسلاميين بالرغم من أنه اعتمد على مفاهيم ومصطلحات إلا أنه استطاع بذوقه الاسلامي وثقافته في التراث الاسلامي أن يفتح الطريق أمام الباحثين للوصول إلى علم الاجتماع الاسلامي .

اخطار تحيط بالمجتمع الاسلامي

لقد لخص بعض الباحثين اخطار المجتمع الاسلامي في العناصر التالية :

أولا : محاولة اسقاط الفرد في سبيل اعلاء المجتمع ومحاولة اسقاط الاسرة على حساب المجتمع والقول بأن القيمة كلها للمجتمع الذي يتنكر للأديان والعقائد والقيم الروحية .

ثانيا : القول بأنه لاعلاقة بين اللباس والاخلاق وأن الشهوات لاتستثار بالتبرج .

ومن اجل علاج ظواهر العنف في المجتمع يتطلب الامر :

١ - اعادة رسم خريطة مسؤولية الآباء والامهات والتركيز على الدور الاساسي في حماية الاطفال .

٢ - اعادة صياغة برامج التعليم واحياء مفهوم القدوة .

٣ - تأصيل برامج البث والتسلية والتحرر من الجنس والجريمة فيها .

٤ - تكوين الابناء على الخوف من الله تبارك وتعالى والبعد عن التجاوزات .

٥ - تخفيف عمليات الثراء الفاحش في مواجهة متوسطي الحال سواء في المظاهر العامة أو المعروضات التلفزيونية .

٦ - وضع الحدود والزواجر الاسلامية موضع التنفيذ .

٧ - افساح الطريق للشباب المسلم امام ملء فراغه النفسي والديني والاجتماعي على نحو ايجابي كريم يرتفع به .

٨ - تيسير الحياة الاجتماعية بحيث يمكن للشباب أن يقبل على الزواج في سن مبكرة .

المجتمع المسلم والحضارة الغربية

لقد كانت غزوة الحضارة الغربية للمجتمع المسلم من اكبر التحديات التي واجهت الامة الأسلامية إذ كانت بالغة الاثر على البناء الاجتماعي من حيث انها حجبت الشريعة الاسلامية وفتحت ابواب الاباحة والتحلل وهدم القيم بايقاف حدود الله تبارك وتعالى وتأثر البيت المسلم بذلك حيث جرى تدمير القيم الاسلامية والحيلولة دون سيطرتها واذابة المسلمين والعرب في بوتقة الاممية واخراجهم من ذاتيتهم الخاصة وفرض ثقافة الغرب عليهم حيث غلبت مداخل الربا إلى الاقتصاد الاسلامي وتمزيق ثروة الأمة.

وكان اخطر ذلك كله سيطرة القانون الوضعي حيث كان التعليم هو الخنجر المسموم الذي طعنت به الأمة الاسلامية.

أما المدرسة فقد حجبت عنها المفاهيم الاسلامية التي يقدمها القرآن الكريم والسنة النبوية حيث فرضت نظرية دارون التي ماتزال تدرس في اغلب البلاد الاسلامية وهي المدخل الاكبر إلى الالحاد وتدمير الشخصية الانسانية والتشكيك في قضية الخلق القرآنية.

وقد اضيف اليها كثير من نظريات الفلسفة المادية والعلوم الاجتماعية والنفس والاخلاق حيث كان التصور المادي أن الانسان تحكمه غرائز الجنس ثم توسعت نظريات الفكر الغربي من جانبيه الليبرالي الرأسمالي والماركسي:

وكانت عملية تدمير الوحدة الاسلامية هي اساس المؤامرة كلها

في محاولة لبناء اقليميات تاريخية وثقافية منفصلة تحطم وحدة الفكر الاسلامي والحضارة الاسلامية.

وقد جرت المحاولة إلى إثارة النعرات الاقليمية والقومية والعرقية واحياء التاريخ السابق للاسلام وعمدت بعض الاقلام العلمانية والتغريبية إلى مناهضة مفهوم الاسلام للمجتمع وضوابطه وخداع المسلمين بمذاهب غربية وافدة بدعوى أن الديمقراطية الغربية هي الشورى الاسلامية وأن العدل الاجتماعي هو الاشتراكية على فارق ما بينهما من خلافات عميقة وواسعة سعة ما بين المنهج الرباني والفكر الوضعي.

ولكن الفكر الاسلامي في مرحلة اليقظة ثم في مرحلة الصحوة استطاع أن يكشف مسار هذه المذاهب المادية سواء مفاهيم ماركس أو دوركايم أو سارتر أو فرويد وعجز القانون الوضعي وقصوره.

وكان اهم ما عملت الصحوة على كشفه وبيان فساده: اسقاط نظرية العلمانية وفصل الدين عن المجتمع واسقاط نظرية العنصرية والدماء.

كما كشفت الصحوة عن سقوط مفهوم القوميات والاقليميات والماركسية واستحالة اندماج الاسلام في الايديولوجيتين: الليبرالية والشيوعية وتميز الاسلام بوصفه الدين الخاتم الجامع بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة.

كما عملت الصحوة على تحرير فكر «تحرير المرأة» التي عمل النفوذ الاجنبي على خداع المرأة المسلمة بها ليخرجها من المنهج الرباني الذي جعل مسؤوليتها في بناء الاسرة ورعاية الاجيال الجديدة مما أدى إلى عودة المرأة المسلمة إلى الاصالة.

إن الشريعة الاسلامية هي الاصل؛ والمناهج الوافدة هي الاساليب المستحدثة التي فرضت على المجتمع الاسلامي خلال مرحلة التبعية بوصفها تقدما وعصرية ولحاقا بالمجتمعات المتمدنة والتي لم يقبل المسلمون اساليبها عن اختيار وإنما فرضت مع النفوذ الاستعماري الوافد بسلطانه السياسي والعسكري والاجتماعي ولكنها عجزت بعد عقدين أو ثلاثة عن أن تحقق التقدم الذي وعد به اتباعها وكتابها وتبين أن المنهج الاسلامي اكبر من الايديولوجيات واكثر منها عطاء وأن الليبرالية لم تحقق سعادة للمجتمع الاسلامي ولما جاءت الماركسية عجزت عن العطاء ايضا.

وتبين للمسلمين في مرحلة حساب ومراجعة أن منهج الاسلام اكبر من الايديولوجيتين وأن المنهج الوضعي هو منهج بشري قد وضع لمجتمع مختلف وانه فكر بشري يمكن أن يكون رد فعل لواقع كالمجتمع الغربي ولكنه لايصلح منهجا للمجتمع الاسلامي الذي تشكل في قلب المنهج الرباني خلال اربع عشر قرنا.

كذلك فقد تبين للمسلمين أن العدل الاجتماعي الاسلامي يختلف عن الاشتراكية وأن الشورى تختلف عن الديمقراطية.

كما تبين قصور المنهج الاجتماعي في مجال علاقات الآباء والابناء وفي التعامل بين الرجل والمرأة وفي التعامل الاقتصادي وجاءت العلوم الاجتماعية الغربية لتقدم للمسلمين تصورا مختلفا عن مفاهيم الاخلاق والنفس والاجتماع.

وكان الفارق الواسع والعميق بين المنهج الغربي الوضعي الوافد وبين المنهج الاسلامي ذلك العامل الاساسي الاصيل: «اخلاقية

المجتمع». فقد اقام الاسلام منهجه على اساس الاخلاق التي هي جزء من العقيدة الاسلامية، فالاسلام عقيدة ومعاملات واخلاق.

والاخلاق في الاسلام من الثوابت التي لاتتغير مع تغير الزمان أو البيئات.

وهنا موضع الخلاف الواسع والعميق مع المنهج الغربي الذي يتحدث عن «نسبية الاخلاق» ويربطها مع التطور بينما يجعلها الاسلام من القواعد الثابتة.

ومن هنا كان تحريم الاسلام للخمر والربا والقمار وتحريم الزنا واقامة الحدود، وكان موقف الاسلام من مفاهيم الغرب عن الاباحية الاجتماعية واعلان عدم فطرية الاسرة وفطرية الجريمة في آن واحد.

ومن هنا كانت مقاومة الاسلام للترف والتحلل الذي يحطم المجتمعات والشباب ويفرغ الامم من طاقات المقاومة والرباط وحماية الثغور.

ومن هنا كان رفض الاسلام للقوانين الغربية الخاصة بكل الموبقات والفسوق والفجور وقد تبين أن اعظم المجتمعات الغربية ثراء هي اكثرها ارتباطاً بتعاطي المخدرات وكثرة الانتحار.

ومن هنا كانت حماية القيم الاخلاقية من ثوابت المجتمع التي يجب الدفاع عنها وحمايتها حتى لاتسقط والتي هي اساس «هوية الأمة» وخصوصيتها الذاتية.

ولقد قدم القرآن تصورا كاملا لسقوط الامم التي تخرج عن طاعة الله تبارك وتعالى والتي تغرق في الترف والفساد الخلقي ولقد

سقطت ثلاث حضارات كبرى قبل الاسلام نتيجة الانهيار الخلقي والفساد الاجتماعي هي اليونانية والرومانية والفارسية.

وجاء الاسلام لتحرير البشرية من الرق الذي قامت عليه الحضارات السابقة وتحرير الانسان من العبودية لغير الله تبارك وتعالى كذلك فقد دعا الاسلام إلى اخلاقيات العدل والرحمة والحق ورفض سيطرة المفاهيم الميكافيلية والبرجماتية.

ووجه الاسلام المسلم إلى الالتزام الاخلاقي والمسؤولية الفردية ورفض مفاهيم المجتمعات التي تستهين بقدسية الاسرة وكرامة العرض وانكر كل عوامل الانحطاط الاخلاقي والاباحية الجنسية وحتم على المسلم المحافظة على ثوابت الاخلاق.

وجعل مفهوم التربية الاسلامية جامعا بين ملكات الجسم والعقل والروح ودعا الأمة الاسلامية إلى التعامل مع متغيرات العصر دون الخروج عن ضوابط الاسلام الاساسية.

وقد جمع الاسلام بين الوسطية والاعتدال بين الفرد والجماعة واعطى للعقل المسلم مساحة للفهم واتخاذ القرار.

وجاء نظام الاسرة في الاسلام نموذجا كريما لم يسبقه سابق ولم يلحقه لاحق واعطى للمرأة الحق في ادارة اموالها وتزويج نفسها والولاية الكاملة على ما تملك وكان اعظم معطيات الاسلام: الحكومة المدنية فلا يعترف الاسلام بما يسمى الحكومة الثوقراطية التي عرفتها اوربا في العصور الوسطى وليس للاسلام رجال دين ولكن علماء دين يوجهون وينصحون دون أن يتولوا مناصب الحكم كما رفض الاسلام الدولة العلمانية الوضعية والنموذج الثقافي الغربي باعتباره لا يعبر عن قيم الامة الاسلامية.

وليس ما يطالب به المسلمون اليوم هو احياء للتراث وانما هو احلال شريعة الاسلام الخالدة المنزلة في القرآن والسنة في مكانها الصحيح والاصيل قبل أن تحجبها القوانين الوضعية .

وإن في امكان المتخصصين من المسلمين أن يقدموا منهجا مرنا يحقق ثوابت الاسلام ومتغيرات العصر .

إنَّ مقولة أن الاسلام الذي ندعوا إلى تطبيقه من شأنه أن يكون عائقا دون التقدم والتنمية مقولة خاطئة فالاسلام يؤكد أنه كان العامل القوي والاكيد للتقدم على مدى العصور .

كما لايمكن أن تقوم نظرية المعرفة الاسلامية إلا بالجمع بين الوحي والعقل واسلمة المعرفة والعلوم في العصر الحديث توضح مكانة الوحي «أو النص» كمصدر للمعرفة وتكاملها مع العقل والتجريب فالوحي اساس مكين في قاعدة المعرفة .

ووفق هذا التصور فإن هناك فارقا واضحا بين الثقافة الاسلامية بوصفها منهجا ربانيا جامعا وبين قبضة الطين ونفخة الروح التي تشكل عليها الانسان اساسا وبين مفهوم المعرفة التجريبية التي تتوقف مفاهيمها عند العقل والحس وحدهما . ولقد عمد المستشرقون والمنصرون إلى تقديم نظريات غربية تعارض هذا المفهوم الجامع الاسلامي الاصيل في محاولة لقصر المعرفة على مفاهيم العقل والعلم وحدهما كونها مصدراً للمعرفة .

والهدف هو محاولة تغيير «هوية الأمة» والقضاء على اصالتها .

كما أنه ليس صحيحا ما يدعيه الفكر الغربي من أن العقلية

الاسلامية عقلية غيبية بشكل مطلق وكيف يمكن لعقلية غيبية أن تنتج علما ومنهاجا وتحليلا ونقدا على النحو الذي قدمه الاسلام «الذي هو صاحب المنهج التجريبي اساسا ومنهج المعرفة ذي الجناحين».

لقد استطاع المسلمون أن يجمعوا بين ما قدمه القرآن من «غيب» قال تعالى: ﴿**الذين يؤمنون بالغيب**﴾ وما يسمى بالاستقراء فقد عرف المسلمون الملاحظة والتجربة والمشاهدة بينما عرف علماء الغرب مفاهيم الحس والعقل وحجبوا عن انفسهم علوم الغيب التي اطلقوا عليها «ما وراء الغيب» أو الميتافيزيقيا وجاء زكي نجيب محمود - فيلسوف مصري معاصر - فكتب كتابا تحت عنوان «خرافة الميتافيزيقيا».

إن الفكر الاسلامي لايقر مقولة العقول الثلاثة: «البياني والعرفاني والبرهاني» ولايقر غلبة البرهان والعرفان فهي مقولة استشراقية حيث يقصد بالعرفان عندهم ما يسمى الفكر الباطني الذي كان يعرف قبل الاسلام بالفكر الوثني اليوناني «علم الاصنام» أما البرهان فهو عندهم الفكر العقلاني.

أما الاسلام فله منهجه الجامع القائم على بيان القرآن وبلاغته وارتباطه بالسنة النبوية وهو ما تم على حقيقة البرهان والتجربة والغيب.

ولقد تبين في الاخير أن هذه المقولة التي يحمل لواءها بعض التغريبيين هي مقولة استشراقية مضللة قالها الفيلسوف الفرنسي «التوسير» ورددها الجابري المغربي - فيلسوف عربي معاصر - الذي تأثر في كتاباته عن الفكر العربي بالفكر الفلسفي الفرنسي.

أما محاولة احياء الفكر الغنوصي والوثني والباطني تحت اسماء جديدة خادعة فنحن لا نقبله فالاسلام قد اقام فكره على اساس التوحيد الخالص وقدم منهجا كاملا في هذا الصدد اما سيطرة البيان أو العرفان في مرحلة من المراحل فقد جاءت لاسباب تاريخية وسياسية وغير مطلقة .

لقد استعلى الفكر العقلاني «المعتزلة» حثيثا ثم سقط كما استعلى الفكر الوجداني «التصوف الفلسفي» مرحلة ثم سقط ايضا وتأكد في العصور الاخيرة مفهوم أهل السنة والجماعة وقامت الصحوة الاسلامية على اساس منهج القرآن الجامع .

حماية المجتمع الإسلامي من العبودية لغير الله

لقد عاش المسلمون حياتهم خلال اربعة عشر قرنا بين الاستجابة لمنهجهم وبين التفريط فيه متطلعين إلى المثل الاعلى الذي رسمه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لاقامة منهج الله تبارك وتعالى على الارض ولكن تجربتهم البشرية كانت تصيب وتخطيء، وتسدد وجهتها تارة أو تنحرف وما احسوا يوما بأنهم احرار يستطيعون أن يأمنوا عدوهم فقد كانت القوى الخارجية لاتغفل عنهم فقد ولد الاسلام في قلب التحدي وبين يدي الازمات الشداد التي كانت تعمل على تدميره واحتوائه.

وقد انذرهم القرآن الكريم وحذرهم في اكثر من موضع عن أن يأخذوا طريق الامن أو الاستسلام للترف واللذات المحرمة أو يستسلموا في وجه التحديات وأن يكونوا دائما على تعبئة وقادرين على الردع وحماية الثغور وفي اكثر من موقف خلال تاريخهم كان العدو قادرا على اقتحام ثغورهم وتدمير قواهم إذا ما غفلوا عنها:

قال تعالى: ﴿**ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**وخذوا حذركم**﴾. النساء آية ١٠٢ ومابعدها.

ولقد عمل المسلمون على اقامة مجتمعهم الرباني وحشدوا في سبيل ذلك كل قواهم ومقدراتهم ولكن التجربة كانت في حاجة إلى مزيد من الصمود والثبات في وجه الاحداث ولكن المسلمين كانوا

سرعان ما يأمنوا للعدو ويغفلون عن المرابطة ويستسلموا للمتعة الزائلة فتجتاحهم الاخطار ويستولى العدو على ما في ايديهم.

ولم يكن العيب في ذلك راجع إلى المنهج، فقد كان المنهج ربانيا سليما محذرا من الامن الخادع والتحلل ومطالبا بالاعداد والحشد والقدرة على الردع.

ولو وعى المسلمون مقولة الرسول صلى الله عليه وسلم بأن جند المسلمين في هذه المنطقة هم في رباط إلى يوم القيامة لعلموا أنه يجب عليهم أن يحتشدوا ويرابطوا ويكونوا دائما على تعبئة كاملة.

وأن يستمسكوا بالضوابط الاخلاقية التي وضعها الاسلام للمجتمع والعلوم من خلال اخلاقية السلوك والانتماء والمسؤولية الفردية واقامة العدل والحرية والعودة إلى المنابع.

ويقرر حقائق الثوابت والمتغيرات.

وأن نفهم الاسلام بمفهوم جامع يربط بين الروح والمادة والعقل والقلب والوحي والعقل وأن لايقبل مفهوم الغرب للدين القائم على انشطارية القيم وعلى الفلسفة المادية وعلى التنكر للوحي والغيب والنبوة والالوهية.

ولقد ركز الغرب نفوذه السياسي والاقتصادي على الأمة الاسلامية على مجالين اساسيين:

الاول: هدم الوحدة الاسلامية الجامعة بتمزيق الاقطار الاسلامية ثقافيا واجتماعيا بحيث لاتصبح صالحة لاقامة الوحدة.

الثاني: فرض مفاهيم التحلل والفساد الخلقي واباحة الشذوذ والاجهاض في محاولة لهدم الاسرة المسلمة التي هي دعامة المجتمع الاسلامي.

علينا أن نكون فاهمين بوضوح «هدف الغرب» في جرنا إلى تمزيق وحدتنا الاسلامية والخلية الخلقية للمجتمع ولكنا يجب أن نكون قادرين في نفس الوقت على المرونة في تقبل معطيات العصر حتى لانجمد ولا نتوقف أو نتخلف.

هذه المرونة تكون قادرة على الحفاظ على ثوابتها وحماية وجودها واقامة مشروع الانسان المسلم على المسؤولية الفردية والالتزام الاخلاقي فنأخذ من الحضارة العالمية ما يزيدينا قدرة على بناء مجتمعنا من الناحية المادية ونظل في نفس الوقت قادرين على اقامة منهج الشريعة الاسلامية كاساس ومنطلق لوجودنا.

هذه الوسطية، هذه الموازنة في حاجة إلى حماية ورعاية بحيث يستطيع أن نعمل ونبني وننمو دون أن تحطمنا خطط تدمير خلية الاخلاق الاسلامية على النحو الذي كشف الغرب عنه بمشروع الاسكان وبالدعوة إلى الحرية الجنسية للشباب وهدم الاسرة الطبيعية أو اباحة البغاء.

وعلينا أن نجعل البناء في الدنيا لحساب الآخرة: حماية للاعراض ورباطا في الثغور وحماية للنفوس من الاسراف والترف واخشيشان في المعيشة ترد فضل الغني إلى المحتاجين والفقراء إيمانا بمفهوم الاسلام في جماعية العيش الكريم الذي يقوم على الزكاة التي هي حق للفقير في مال الغني والتي تحمي المجتمع كله من الظلم ومن الفقر.

هنالك يكون المجتمع اسلاميا بعيدا عن الصراع الطبقي وعن الخلاف والاستعلاء الناتج عن مفهوم العبودية الانسانية التي عرفتها الحضارات السابقة بشرعية الرقيق الباطلة التي تجعل العدل والكفالة لذوي الثراء والغنى وحدهم. لقد جاء الاسلام ليحطم هذه العبودية التي عرفتها الحضارات الرومانية واليونانية والفارسية، عبودية الفرد للفرد، وكذلك عبودية الانسان للأوثان وما يعبد من غير الله الذي له وحده حق العبودية والعبادة.

حقوق الانسان في الاسلام

يتحدث الناس اليوم عن حقوق الانسان التي تتحدث عنها المنظمات السياسية العالمية على نحو يدعو إلى التصور بأنها أمر استحدثه الغرب وحقق به العدل والاخاء والمساواة .

مع أن حقوق الانسان عرفها الاسلام وقدمها للبشرية قبل اربعة عشر قرنا وقبل ما استحدثه بعض المنظمات في العقود الاخيرة .

وقد شهد بذلك علماء الغرب انفسهم في عديد من مؤتمراتهم وكتبهم وفي الاخير قال الدبلوماسي الالماني «مراد هوفمان» والذي اعلن اسلامه : [ان الشريعة الاسلامية قد تضمنت قوانين مختلفة تكفل توافر الحقوق وبخاصة حق الحياة وسلامة الجسد والحرية والمساواة في المعاملة وحق الملكية الخاصة والزواج وحرية الضمير وبراءة المتهم حتى تثبت ادانته وحق الحماية من التعذيب ولا عقاب بدون انذار وحق اللجوء وكذلك عدم الحكم الا بعد سماع اقوال الطرفين وهذه الحقوق جميعا قد كفلها الاسلام منذ ألف واربعمائة عام] .

أما حقوق الانسان الواردة في القوانين الاوربية فهي كما يقول المستشار سالم البهشاوي : (جعلها الاسلام ضرورات انسانية لاسبيل لحياة الانسان بدونها ومن ثم فإن الحفاظ عليها لايقتصر على كونه حقا فقط يمكن التنازل عنه بل هو واجب يأثم من فرط فيه فردا أو جماعة) .

كذلك فقد اكد الفقهاء أن غاية الشريعة الاسلامية أن تحفظ على الناس خمسة أمور سميت بالضرورات الخمس، وهي: (حفظ العقل والنفس والنسل والدين والمال).

كذلك فقد قرر علماء المسلمين أن صلاح أمر الدين موقوف ومترتب على صلاح أمر الدنيا حيث قال الامام الغزالي: (إن نظام الدين لايحصل إلا بنظام الدنيا فنظام الدين بالمعرفة والعبادة لايتوصل اليهما الا بصحة البدن وبقاء الحياة وسلامة تلك الحاجات من الكسوة والمسكن والاقوات والأمن فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية).

ومن هنا يتبين مدى الفارق البعيد والعميق بين حقوق الانسان في الاسلام التي انزلت من الحق تبارك وتعالى لتنظيم المجتمع وبين هذه الحقوق التي تكونت نتيجة اضطراب المعاملات بين الناس مما استدعى أن يطالب بها المفكرون.

ومن ناحية اخرى فإن ظهورها في القرن العشرين الميلادي يكفي لاثبات أن حقائق كثيرة قدمها الاسلام للبشرية لم تكن تعرف أيام نزوله وبعد ذلك بقرون مما يؤكد أن العالم يطلع على عطاء جديد قدمه الله تبارك وتعالى.

لم يفرد الاسلام وثيقة خاصة لحقوق الانسان كما يقول المستشار البهنساوي إلا أن القرآن الكريم والسنة النبوية قد ركزا على الحقوق التي كانت مهدورة في الأمم الاخرى كحق المرأة في الغرب.

وقد جاءت في القرآن والسنة على هذا النحو:

أولا : وردت نحو أربعين آية في القرآن عن الاكراه والكراهية منها ماينهى عن الاكراه وذلك لضمان حرية الفكر والاعتقاد وحرية الضمير **﴿لا إكراه في الدين﴾** . سورة البقرة الآية ٢٥٦ .

ثانيا : كفل الاسلام العدل والعدالة ورفع الظلم ولا فرق في ذلك بين الرجال والنساء ولا بين المسلم وغير المسلم أو بين الكبير والصغير .

وقد تعرض القرآن للظلم والظالمين في نحو ثلاثمائة وعشرين آية وامر بالعدل في اربع وخمسين آية تنوعت بين العدل والقسط والقسطاس .

ثالثا : أقر الاسلام بحفظ الحياة وتوفير اسباب الحياة للانسان فاورد القرآن الكريم نحو ثمانين آية عن الحياة وسبع آيات عن القتل والقتال منها قوله تعالى : **﴿من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا﴾** سورة المائدة الآية ٣٢ . كما أورد عشرين آية عن الكرامة والتكريم **﴿ولقد كرمنا بنى آدم﴾** الآية ٧٠ من سورة الاسراء .

رابعا : أورد نحو مائة وخمسين آية عن الخلق والخلائق وعن المساواة في الخلقة **﴿ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم﴾** . سورة الحجرات الآية ١٣ .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : **[الناس سواسية كأسنان المشط]** .

ومن هنا يتأكد أن الاعلان العالمي لحقوق الانسان هو اجتهاد بشري قيدته الدول الكبرى بقيود لتحافظ على الفوارق التي تضمنتها القوانين الاوربية التي هي ايضا اجراء خاطيء من البشر .

وقد ورثت اوربا مظالم القانون الروماني للمرأة فاعتبرتها ضمن الصبيان والمجانين وقد اقرن الحكم الديني في اوربا بنظام الاقطاع فكان للامراء والنبلاء كل الحقوق وليس للرعية مقابل وكان الامراء يشترون الارض ومن عليها من الناس والجماد والدواب .

الشورى والديمقراطية

يردد كثير من العلمانيين مقولة باطلة هي (إن الديمقراطية المعاصرة هي الشورى) التي جاء بها الاسلام. والمقولة الثانية (ان العدل الاجتماعي الاسلامي هو الاشتراكية).

ويجري هذا اللغط في دائرة خطيرة هي دائرة تزييف المصطلحات بثقافات الأمم على نحو يجعل لكل ثقافة قيمها ومصطلحاتها ولكل مصطلحات مفاهيمها وتفسيراتها.

فالشورى اساسا أقدم من الديمقراطية.

والشورى منهج رباني جاء ضمن شريعة الاسلام بينما تتمثل الديمقراطية في منهج بشري غربي وافد غير أن كل منهما يقدم منهجا يجعل للشعوب حق الاستشارة.

غير أن الشورى الاسلامية تتمثل في أن الشريعة وضع إلهي تختلف عن المطروحات البشرية يقبله المسلم ويسلم به تسليما كاملا وإن كان من حقه أن يجعلها مرتبطة بالمتغيرات من حيث ما اعطاه الاسلام من سلطة الاجتهاد فيما لم ينزل فيه شرع سماوي في دائرة الحلال والحرام الذي رسمه الاسلام اساسا.

وهذا يختلف عن مفهوم الغرب الذي يعتبر الديمقراطية تعطي السيادة في التشريع للشعب والأمة حيث أن السلطة في الديمقراطية هي للانسان أما في الاسلام فإن الشارع هو الله تعالى وليس الانسان حيث تبقى سلطات الانسان محكومة بحاكمية الله.

والمعروف أن التشريع الاسلامي مرن واسع الافق قابل للمستجدات والمتغيرات من فقه وتقنين يتمثل فيهما سلطات الانسان المحكومة بحاكمية الله .

يقول دكتور محمد عمارة : (ولهذا التميز صلة وثيقة بنظرة كل من الحضارتين الغربية والاسلامية لحدود تدبير الذات الالهية وحدود وتدبير الانسان وللعلاقة بين الانسان وبين الله تبارك وتعالى وتختلف هذه النظرة بين المنهجين ففي الغرب تقوم العلمانية الغربية على المبدأ الانجيلي الذي يجعل ما لقيصر لقيصر وما لله لله فيفصل بين التدبير الالهي وبين التدبير الانساني .

حيث يقف التدبير الالهي في نظرهم عند الخلق اما الانسان فقد اعطي السيادة في تدبير العمران الدنيوي ذلك أن الانسان في هذه النظرة الغربية هو سيد الكون ومن هنا كانت له السيادة في التشريع والسلطة في التنفيذ .

اما في النظرة الاسلامية فإن الله تبارك وتعالى **﴿له الخلق والأمر﴾** فتدبيره لايقف عند الخلق فقط وإنما يمتد إلى الشريعة التي انزلها لتكون إطارا لها وقد دعا الانسان إلى الالتزام باطارها في هذه الحياة ولأن النظرة الاسلامية المكانة الانسانية في الكون لاتجعل هذا الانسان سيدا للكون وإنما خليفة عن سيد الكون .

وإنه قد رسم له وسائل أداء امانة الاستخلاف وعمارة الارض في عهد الاستخلاف الذي هو الشريعة الالهية ، إنه الانسان في النظرة الاسلامية : حر ، قادر ، مريد ، مستطيع في حدود أنه خليفة عن الله تبارك وتعالى بلا حدود .

ولما كانت «الديمقراطية» فكراً وضعياً وفلسفة دنيوية لا تمد بصرها إلى ما هو أبعد من صلاح دنيا الانسان بالمقاييس الدنيوية لهذا الصلاح على حين نجد «الشورى» فريضة إلهية تربط بين صلاح الدنيا وسعادة الآخرة فتعطي الصلاح الدنيوي بعدا دينيا يتمثل في المعيار الديني لهذا الاصلاح.

ويتحدثون في الغرب عن أن الديمقراطية وجدت في عصرنا الحالي بين عدوين لدودين: هما الاشتراكية والقومية.

وقال لوثر بربراندي حوفتيل في مؤتمر رودس ١٩٥٨م أي أن مفهوم عادي واقليمي للديمقراطية لايصمد أمام أي اختبار انتقادي وأن حكومة الشعب من أجل الشعب هي في التاريخ اسطورة اكثر منها حقيقة.

أما الاسلام فإنه يقرر في شأن مفهوم الشورى والعدل:

١ - أن البشرية من اصل واحد وهي تنقسم إلى قبائل وأمم حتى تتفاهم وتحيا.

٢ - يشار على المؤمنين باستشارة بعضهم بعضا في الشؤون الاجتماعية وألا يتخذوا قراراتهم بمعزل عن غيرهم.

٣ - المفروض بالمسلمين أن يتحدوا كاخوة وأن يحلو المشاكل التي تنشب بينهم حلا سلميا.

٤ - يجب أن يكون جوهر الحياة الفردية والاجتماعية في الاسلام: الايمان والعمل الصالح.

٥- يدعو الاسلام إلى الاخوة والتعارف على أن يقوم كلاهما على الفضيلة وليس على المصالح الانانية.

٦ - على المؤمنين أن يحب بعضهم بعضا وأن يعطف بعضهم على بعض وأن يرشد بعضهم بعضا إلى الطريق المستقيم .

٧ - أن يهبوا طوعا جزءا من ثرواتهم للصالح العام .

٨ - على الحكام والقضاة أن يحكموا بالعدل .

٩ - على المسلمين أن يطيعوا الله ورسوله والمسؤولين منهم .

وبالجملة فإن :

أولا : من محاسن الديمقراطية أن نظام الحكم فيها بالاختيار وهذا موجود في الاسلام .

ثانيا : ويمكن بالديمقراطية مسائلة الحاكم وعزله إذا اخطأ والقضاء فيها له قداسة وهذا أيضا ما حرص عليه الاسلام فالقضاء لحفظ كيان المجتمع من الانيهار .

ثالثا : نقطة الخلاف الوحيدة بينهما هو اباحة الديمقراطية لما حرم الله تبارك وتعالى .

الانتماء والهوية

لما كان الاسلام هو منهج حياة المسلم فإن انتماء المسلم هو الاسلام بمفهومه الاصيل الصحيح الجامع بين القيم وليس للمسلم خيار في شأن الهوية أو الانتماء لأنه لابد أن يصدر من ايمانه المتمثل في الوحدة الجامعة، بين الروح والمادة، والعروبة والاسلام، والثوابت والمتغيرات ايقان واعتقادا صادقا بأن منهج الاسلام وشريعته هي منطلق الوحدة الجامعة للأمة الاسلامية مع بقاء التميز الجغرافي أو القومي الذي يتحرك داخل دائرة الثوابت.

ولا ريب أن اتخاذ الاسلام مصدرا للهوية هو اتجاه طبيعي وهو عودة إلى المنابع وهو التماس صحيح للطريق الذي سلكه المسلمون خلال اربعة عشر قرنا فهو ليس غريبا ولا جديدا ولا خاطئا بل الخطأ هو عكس ذلك.

اننا مطالبون باستمرار التمايز عن الليبرالية والماركسية والقومية جميعا فكلها مناهج وافدة اريد بها تدمير وحدتنا وتمزيق صفنا وكلها قد فشلت كونها أُطراً للتقدم في العالم ولاشك أن النكسة والتراجع الذي احدثته المناهج الوافدة هو الذي دفع المسلمين بقوة إلى العودة إلى المناهج الاصيلة على انها الطريق الوحيد بعد أن تحطمت كل الوسائل واغلقت كل السبل.

لقد سقطت التيارات القومية والماركسية والفيدرالية ولم يعد هناك غير التيار الاسلامي باصالته وقدرته على أن يكون معبرا حقيقيا عن اشواق هذه الأمة الربانية القرآنية المحمدية.

ولننظر كيف تأزمت الثقة في نفوس الشباب المسلم اليوم نتيجة لسقوط هذه المذهبيات وعجزها عن العطاء.

لقد اقام الاسلام دولة مدنية بمفهومها الصحيح ولم يعرف في تاريخه كله ما يدعى «الدولة الثيوقراطية» التي اقامها القسس والرهبان في اوربا.

ولقد كانت هذه الدولة منطلق النهضة التي عمت هذا العالم المترامي الاطراف في آسيا وافريقيا واوربا والذي اخرج الناس من الظلمات إلى النور.

ولقد جاء مفهوم الاسلام في الشورى والعدل الاجتماعي مرتبطان بالايمان بالله تبارك وتعالى وتطبيق منهجه في الارض وبذلك ولكل تصوراته الربانية الحقة اعظم عطاء من الديمقراطية والاشتراكية.

إن اخطر ما طرحته اوربا في افق الفكر الاسلامي هي نظرية فصل الدين عن الدنيا وهي مصدر فكرة الالحاد وفكرة الاباحية والاسلام لايقر أن يكون هناك سلوك شخصي لمن يتولون منصب القيادة يختلف عن السلوم العام ومن شأن هذا أن يكون بعيد الاثر في تدمير المجتمع.

ويعمل الاسلام على حماية المجتمع من الكشف والاباحية وما يسمى حرية الابداع ويقيم الادب والتصور الفني داخل دائرة الاخلاق والقيم.

العروبة والاسلام

ركز النفوذ الاجنبي على تشويه العلاقة بين العروبة والاسلام، وايجاد الشبهات بينهما حتى لا يلتقيا.

اما العروبة فقد دفعوا العرب دفعا إلى التعصب لها حين اوقعوا بينهم وبين الترك «من حزب الاتحاد والترقي المسيطرين على الدولة العثمانية الجامعة بين العرب والترك بعد سقوط عبد الحميد» فقد عمد الاتحاديون إلى اعادة ابتعاث «نزعة الطورانية» القديمة التي كان يعرفها الترك قبل الدخول في الاسلام وغلا الاتحاديون في الدعوة إلى نزعة التتريك حتى انهم دعوا إلى تتريك المحاكم والمدارس والمؤسسات فقابلهم العرب في سوريا والشام والعراق بالدعوة إلى العروبة غير أن الدعوة إلى العروبة ما لبثت أن تحولت على ايدي المستشرقين والمارون إلى دعوة إلى «القومية» بمفهوم العرق والعنصر على النحو الذي عرفته اوربا في صراعها مع الكنيسة وخاصة في مناطق البلقان.

ومن هنا دخل زيف كثير على العلاقة بين العروبة والاسلام إلى الحد الذي دفع بعض الغلاة إلى القول بأن العروبة سابقة على الاسلام، والحق أن الاسلام هو الذي اقام الوحدة العربية بعد أن كان العرب قبائل متفرقة لايجمعهم شيء ولذلك كانت الوحدة العربية ثمرة من ثمار الاسلام بمفومها الصحيح ولقد اقام الاسلام منهجا جامعا بين الوطنية «القطر» وبين العروبة «القوم» وبين الاسلام بوصفه الجامع الاكبر والعقيدة والمنهج والانتماء فقد كان الاتجاه قائما أساسا على اسلامية الانتماء.

ولقد قامت من وراء هذه القضية قوى كبرى ترمي إلى تمزيق المسلمين إلى عناصر وعروق وانتماءات اقليمية أو عصبية أو قبلية مما يؤدي إلى تدمير وجودهم الحقيقي واليوم نرى من وراء المؤامرة الصهيونية والشيوعية في محاولة للتلاعب بالمسلمين كقطع الشطرنج.

إن العرب كانوا بالاسلام ولم يكونوا بدونه فهو الذي صنعهم وهو الذي شرفهم بحمل لواء الدعوة الاسلامية وكرم لغتهم بنزول القرآن الكريم بها «وقد حملوا اعباء الدعوة الاسلامية وكانوا اقدر الناس على تذليل العوائق التي اعترضتها وتجاوزوا بالرسالة الاسوار الرهيبة التي اقامها الروم والفرس».

وكان اليهود قد حملوا الامانة وعجزوا عن الوفاء بها فنقل الله تبارك وتعالى امرها من بني اسرائيل إلى بني اسماعيل. فالعرب قد دخلوا التاريخ بالاسلام فهم لايستقلون بهذه المهمة ولايفرضون بها انفسهم على الناس فهم - أي العرب - قد دخلوا التاريخ بالاسلام وكان فضل الاسلام على العرب كبيرا فهم بالاسلام خرجوا من الظلمات إلى النور واخرجوا الناس كذلك.

وقد اكد ابن خلدون: « أن العرب لايقوم لهم ملك إلا على اساس «نبوة» ولا تنهض لهم دولة إلا على اساس دين وإن الايمان بالله تبارك وتعالى وحده هو الذي ينظم ملكهم ويصون مواهبهم ويوحد كلمتهم» وهم ماذهبوا وراء المذاهب والايديولوجيات من قومية واشتراكية في سبيل استعادة ملكهم واستئناف دورهم التاريخي فلن يصلوا إلى شيء وقد اكدت لهم التجارب التي جرت خلال

العقود الاربعة الاخيرة من تاريخهم أن الطريق الوحيد هو الاسلام منهجا جامعا «العروبة جزء منه» والشريعة والمنهج هو القرآن اساسا.

فالاسلام هو طوق النجاة في هذا البحر اللجي وان الابتعاد عنه اخطر الطرق إلى الغرق.

إن الانتماء العربي المتجهم للاسلام أو المحايد بازائه لن يكسب خيرا قط، إن اباءهم الاولين سحروا المشارق والمغارب بشمائلهم وخشوعهم وتواضعهم بالحق والصبر حتى انسوا الاقطار المفتوحة تاريخها ولغتها فتبنت الدين الجديد واللغة الجديدة.

يجب علينا أن ندرس هزائمنا وانتصاراتنا كي تكون منطلقا لنا ولابد من دراسة غزوة احد والهزائم كما فعل الغرب ولنكون مؤمنين صادقي الايمان ان الهزيمة قد جاءت من داخل النفس قبل أن تجيء من ضغوط الاعداء.

إن عقيدتنا اساس التوحيد وهي الاسلام والتوحيد في الاسلام: موضوع وشكل وفرع واصل، وعقل. ونقل.

هذا الفهم هو الذي يحول دون نجاح سموم الاستشراق التي يبتغيها التثليث النصراني والتجسيد اليهودي.

إن اساس ديننا كلمة التوحيد والبناء الاخلاقي الشامخ الذي ينهض عليها ويؤكد حقوق الاسلام في الاخاء والمساواة والحرية من خلال الالتزام الاخلاقي والمسؤولية الفردية.

حقوق المرأة في الاسلام

اعطى الاسلام المرأة كل الحقوق التي تحفظ لها انسانيتها وتحميها من جور الرجل ولم يوجب بعض الفوارق «في الميراث أو الزواج» إلا تقديرا للفوارق الطبيعية والجسمية والتكوينية بين الرجل والمرأة.

واعطى المرأة كل الحقوق في مجال المال والتجارة.

وفي الواجبات قال تعالى: ﴿**ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة**﴾ سورة البقرة الآية ٢٢٨. قال النبي صلى الله عليه وسلم: **[إن النساء شقائق الرجال]** والدرجة التي للرجل هي القوامة في الاسرة ولم يقر الاسلام التفرقة بين الرجل والمرأة في الاجر عن العمل، ولايقر أن تفقد المرأة اسم عائلتها وتسمى باسم زوجها. ولايقر حرمان المتزوجة من التصرف في اموالها.

وقد حرم الاسلام الزواج من المشركات ويجيز الزواج من الكتابيات «أي بنات النصارى واليهود» ولايجوز أن تتزوج المسلمة بغير المسلم اما في الغرب فقد ورثت القوانين الاوربية عن القانون الروماني التميز الصارخ بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات حيث تنص القوانين الاوربية على استحقاق المرأة نصف اجر الرجل عن العمل ذاته ويمنعها من الاحتفاظ باسم عائلتها عن الزواج وتمنع القوانين الاوربية المرأة من التصرف في اموالها الخاصة متى ثبت أن

هذا المال ليس موهوبا منها لزوجها وليس من الاموال المشتركة بين الزوجين .

ولقد دخلت على مادة الاعلان العالمي عن عدم التمييز بين الرجل والمرأة أو بسبب الجنس أو الدين .

وادخلت عليها تعديلات فاصبح النص توصية وليس الزاما والمساواة فيه ليست مطلقا أو كاملة .

وقد ورثت اوربا مظالم القانون الروماني للمرأة فاعتبرتها ضمن الصبيان والمجانين واقترن الحكم الديني في اوربا بنظام الاقطاع فكان للامراء والسادة كل الحقوق وليس للرعية مقابل وكان الامراء يملكون الارض ومن عليها من الناس والجماد والدواب .

وهكذا كان عطاء الاسلام للمرأة سمحا كريما ، متفقا مع طبيعتها دون أن يكلفها مشقة العمل المماثل للرجل ، أو المغيب عن بيتها في سبيل موارد الرزق .

وكفل لها العدل والعدالة لافرق في ذلك بين الرجال والنساء وبين المسلم وغير المسلم .

اما هذه الصيحة الخبيثة التي يرددها النفوذ الغربي والاستشراق والغزو الثقافي في المفاضلة بين المرأة والرجل في الاسلام فانه نوع من الحقد الشديد ، وهم لايرون في دعوتهم إلى تحرير المرأة إلا اخراجها من عقيدتها ومن مكانها الذي رسمه الله تبارك وتعالى في بناء الاسرة وتكوين الابناء وتشكيل هذا النتاج الصغير على طاعة الله ومعرفته وعلى السماحة والفضل .

لقد كانت دعوتهم إلى تحرير المرأة تهدف إلى اخراج المرأة وافسادها وفتح ابواب الشهوات امامها وقد علمت المرأة بعد أن خاضت التجربة هذا الخطر وهذه المؤامرة فارتدوا عنها واستسلموا إلى منهج الاسلام على النحو الذي نراه اليوم بفضل الله وتوفيقه .

المؤامرة على المرأة المسلمة

منذ أن بدأت سلاسل الاستعمار الاجنبي وانحلال النفوذ الاجنبي تسيطر على المجتمع الاسلامي وتطوقه، كان في تقدير دهاقنة الاستعمار أن تكون مسألة المرأة المسلمة من الاسلحة النافذة في هدم الاسرة وتدمير المجتمع الاسلامي وكانت من بين اربع دعوات عمل لها .

١ – هدم القيم الاخلاقية .

٢ – افساد الاسرة .

٣ – افساد التعليم .

٤ – ضرب اللغة .

وكانت قصة تحرير المرأة أو بالاحرى «مؤامرة» تحرير المرأة هي من ابرز ما عمل له النفوذ الاجنبي في البلاد العربية والاسلامية بازاحة الحجاب واشاعة روح السفور وزرع طابع الاستهانة بالقيم الاخلاقية، ذلك أن الاسلام في الحقيقة هو الذي فتح للمرأة باب حريتها بعد عصور الظلام والظلمات، ولكن ما كانت تطمح اليه القوى الغازية هو هدم الاسرة وافساد الاجيال ايمانا بأن هذا هو منطلق افساد المجتمع الاسلامي كله .

وقد تبين الآن بأن مؤامرة تحرير المرأة حين ينظر اليها بعد اكثر من ثمانين عاما ما يكشف عن سقوطها وفسادها وانها كانت على حساب الاجيال الجديدة وانها تتعارض مع :

اولا: مع مسؤولية المرأة الاولى وهي بناء الاسرة والمنزل ورعاية الطفل.

ثانيا: انها تتعارض مع تركيب المرأة الفسيولوجي والعقلي والروحي والاجتماعي.

وان الاسلام قد احاط بهذا المفهوم الاصيل منذ اربعة عشر قرنا وحرص على أن يجعله منطلق العلاقة الاجتماعية بين الرجل والمرأة وفي الاسرة والبيت وخارج البيت، ومن هنا فقد حرص النفوذ الاجنبي رغبة منه في تدمير الاسرة واخراج اجيال مدمرة، حرص على اخراج المرأة إلى باحات اللهو والمتاع المحرم، بدعوى التحرر، ومع أن الاسلام لم يمنع المرأة من العمل اذا دعت اليه الحاجة بشرط أن يكون العمل مناسبا وفي حماية اخلاقية كاملة، فانه جعل مهمتها الاولى هي حماية الاسرة وتربية الاجيال الجديدة، اما مسألة التطلعات الخاصة بالتجمعات والرحلات والندوات ومجامع الساسة وغيرها فقد تحفظ الاسلام ازاءها حماية للمرأة نفسها وكانت وصيته أن يكون ايمان المرأة المسلمة بالله عاصما لها عن اهواء المجتمعات المختلطة فلابد أن تعد نفسها لتفهم مهمتها في الحياة ودورها الذي اعدها الله تبارك وتعالى لادائه في بناء البيت المسلم والطفل المسلم والمجتمع المسلم وأن تكون قادرة على أن تفهم ما حولها وتقدر مسؤوليتها ازاء دينها وامتها ووطنها وأن تتعرف على الحقيقة الاساسية لوجودنا ولمفهوم الجنس ولمدى ما اعطى الاسلام للمرأة من حقوق رفعها بها إلى مصاف المساواة للرجل ثم جعل للرجل عليها درجة القوامة، فاذا عرفت ذلك وآمنت به تأكد لها

أن الصورة التي قدمت لها عن تحرير المرأة كانت بمثابة خدعة كبيرة في محاولة لاخراج الفتاة المسلمة والمرأة المسلمة من مسؤوليتها الربانية التي اعدها الله تبارك وتعالى لها.

ولابد أن تستشعر مسؤوليتها في اعداد هذا الجيل الجديد الذي سيحمل امانة الدعوة الاسلامية ومسؤولية المجتمع من بعد فتعمل على تكوينه تكوينا صادقا في ظل القرآن الكريم والسنة المطهرة.

الباب الرابع

١ - الصحوة الاسلامية.

٢ - التغريب والعلمانية.

٣ - الاستشراق والتنصير.

٤ - فرويد والنفس الاسلامية.

٥ - وسقطت الوجودية قبل الماركسية.

٦ - اسلمة الثقافة.

٧ - التنوير «مصطلح مسموم».

الصحوة الاسلامية

يبدو أن نجاح الصحوة الاسلامية وتعمقها واستمرار فاعليتها قد ازعج القوى التغريبية والاستعمارية فقد فاجأت القوى الخارجية باستمرارها وثبات كيانها المتمثل في كسب اكبر عدد ممكن من المثقفين خاصة مثقفي الغرب الذين فقدوا الامل في منهج العلمانية والفلسفة المادية وتطلعت ارواحهم إلى الاسلام كمنفذ وبوصفه «الحل الرباني» بعد أن بلغ التعنت بالفكر الغربي أن ظن في نفسه القدرة على السيطرة على العالم والاستعلاء بالعنصر على أمم الارض جميعا.

ولقد حاولت القوى التغريبية استدراج عدد من الشباب المسلم إلى دائرة المغريات الخطيرة التي قدمها النفوذ الاجنبي من خلال المسرح والصور العارية والرقص والغناء لتدمير هذا الشباب الذي هو أمل الدعوة الاسلامية وعمادها تطبيقا لبروتوكولات صهيون بادخال الشباب إلى مرحلة الانحلال.

ولقد كشف المفهوم الاسلامي الذي حملته الصحوة مجموعة حقائق اساسية: وهي حقائق تصادم ثلاث من المعتقدات السياسية الغربية التي عاشها الغرب اكثر من قرنين كاملين يحاول غرسها في نفوس المسلمين والعرب وهي:

أولا: الفصل بين السياسة والدين: وهي محاولة يرفضها الفكر الاسلامي بحكم مفهوم الاسلام الجامع كونه منهج حياة ونظام مجتمع.

ثانيا : القومية والعلمانية : هذه المفاهيم التي صدرتها اوربا إلى العالم الاسلامي والتي اثبتت بالتجربة والتطبيق خلال اكثر من خمسين عاما فشلها وعجزها . (وكذلك كان الموقف بالنسبة للماركسية التي تهاوت) .

وقال بعض الباحثين : ان الاسلام لم يكن مجرد تجمع روحي بل انه اصبح دولة وامبراطورية ، وان اشتمال الاسلام على العقيدة والسياسة إنما هو أمر ثابت في القرآن والسنة وقد انعكس بهذه الصفة في عقيدة الاسلام وتاريخه وسياسته .

ثالثا : ان شعار لا إله إلا الله يقرر أن الله «تبارك وتعالى» هو محور كل شيء وأن هناك ارتباطات في الاسلام بين العقيدة الشخصية والحياة السياسة فقد عرف الاسلام المحاكم الشرعية ومحاكم المظالم (الضرائب والتنظيمات الجنائية والجزائية) .

ويبقى مكان (القانون الاسلامي) قضية رئيسية في السياسة الاسلامية ما دام الغرض انه محور القانون من حيث أنه منهج العمل للمجتمع المثالي ومن حيث وظيفته كونه اساساً للحكومة الاسلامية .

وقد انقسم العالم الاسلامي في القرن السادس عشر (قبيل الغزوة الاستعمارية) إلى ثلاث دول كبرى :

١ - عثمانية سنية في غرب آسيا وشرق اوربا .

٢ - صفوية شيعية في فارس .

٣ - مغولية سنية في شبه القارة الهندية .

وقد قامت الشريعة الاسلامية بالدور الرئيسي في الدول الثلاث وكان القانون الاساسي للدولة وكانت مصدر الشرعية والهوية الاسلامية وتحديد قواعد السلوك للحياة الاجتماعية .

وهكذا يتبين للغرب اليوم أن المجتمع الاسلامي من خلال (الصحوة) يريد أن يعود إلى اصوله وجذوره وأن يربط نفسه بتراثه الاصيل الذي عمد النفوذ الاستعماري على فصله عنه خلال القرنين ١٧ ، ١٨ ومن هنا يتبين ايضا أن المسلمين اليوم لايجرون وراء بريق النموذج الغربي ولايجعلون اللحاق به هو الامل الوحيد وهم يرون أن التخلف إنما حاق التبعية للعرب والانفصال عن الاسلام من هنا جاءت الهزيمة ومن هذه النقطة يبدأ النصر .

التغريب والعلمانية

إن هناك حملة تشترك فيها كل القوى المعارضة للاسلام : وهي الغرب المسيحي والعلمانية والصهيونية جميعا، فهي تحمل حملة متصلة على كل ما يتصل بعودة المسلمين إلى الوحدة الجامعة تحت لواء الشريعة الاسلامية، وذلك إيمانا بالحقيقة التي وصل اليها علماء المسلمين على أن أي وحدة حقيقية بين المسلمين يجب أن تنبع أساسا من وحدة فكرهم وأن منطلق النهضة الحقيقي هو العودة إلى شريعة الاسلام وتطبيقها واقامة المجتمع الرباني وفي كثير من اقطار الاسلام محاولات وخطوات ولكن مايزال النفوذ الغربي يوقفها ويجمدها ويدمرها احيانا.

لقد طرح التغريب اربع ايديولوجيات خطيرة بهدف تدمير الوحدة الاسلامية الجامعة هي : العلمانية والقومية والديمقراطية والماركسية وحين دعاهم إلى مفهوم الحضارة الغربية خدعهم بمقولة عالمية الحضارة وذلك لتجريدهم من قوتهم الذاتية القادرة على حمايتهم وتمكينهم من الردع والواقع كما تبين من التحديات القائمة الآن أن مستقبل المسلمين وتقدمهم مرهون بقدرتهم على الدفاع عن انفسهم فاعداد القوة الرادعة امانة حتمية قصر المسلمون في العصر الحديث من المحافظة عليها كما حافظ عليها اجدادهم ولعلهم خدعوا بالامن الكاذب الذي يرونه والذي تبقى من ورائه مؤامرات احتوائهم واختراقهم واذابتهم في الكيان العالمي المدمر.

وإن الازمة الحقيقية في بناء قوة التعبير الاسلامي هي ازمة عدم وجود القدوة الصالحة التي ترسم الطريق إلى العمل.

لما سئل رستم زعيم الفرس ربعى بن عامر قال له : ما الذي جاء بك إلى هنا ، ما الذي اخرجك من الجزيرة العربية قال قولته الحاسمة التي سجلها التاريخ والتي لايعرف لها نظيرا .

قال : إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة الدنيا إلى عبادة الله الواحد .

وهكذا وجد المسلمون الاول مفتاح الطريق إلى العمل وإلى النصر وإلى الشهادة فكيف يمكن للمسلم اليوم في القرن الخامس عشر الهجري أن يحتاج أو ينضوي إلى ميراث البشرية بوثنيتها وماديتها أو بفصلها بين الدين والدولة ، أو بين الدين والمجتمع أو ينصهر في تيارات مادية تفصل بين الروح والمادة .

لقد جاء الاسلام فاصلا بين عصر المادية وبين نظام متكامل جامع بين القيم في تناسق عجيب وفي توازن صحيح يعطي للانسان حقيقته من اشواق الروح ومطامح المادة دون أن يفصل بينهما .

إن قبول مقاييس الغرب سواء في الحرب أو السلام أو في المجتمع والحياة من شأنه أن يضع المسلمين في اخطر الوان التبعية حيث يجعل المسلمين خاضعين ليس للغزو الفكري فحسب بل لقبول الحضارة الغربية والاحتلال الصهيوني لفلسطين والانصهار في المفهوم المادي الوثني للحياة والمجتمع والاسرة والشباب والمرأة من حيث اطلاق الحرية الشخصية والتجاوز عن الالتزام الاخلاقي والمسؤولية الفردية .

وهذه هي المفاهيم التي رسمتها الماسونية وبروتوكولات صهيون لفرضها على المجتمعات الاسلامية .

الاستشراق والتنصير

اخطر أدوات التغريب والغزو الثقافي تتركز في الاستشراق والتنصير فالاستشراق هو مصنع الشبهات والتنصير هو مجال توزيعها عن طريق اكبر اعماله الارساليات المنتشرة في انحاء العالم الاسلامي والتي بدأت أول الامر في ثلاث مراكز اساسية ولاتزال قائمة فيها عن طريق جامعات ومعاهد ومؤسسات هي :

١ - استانبول «تركيا» .

٢ - بيروت «لبنان» .

٣ - القاهرة «مصر» .

٤ - جاكرتا «اندونيسيا» .

٥ - لاجوس «نيجيريا» .

العملية كلها تتركز على تقديم عمل مزدوج من شأنه أن يظهر الاسلام في وجه المسيحيين وغيرهم بمظهر الانتقاص وذلك في محاولة لحماية الغرب عن زحف الاسلام والثاني : انتقاص الاسلام نفسه في نظر اهله باثارة الشبهات وضرب النصوص والمحاولة الدائبة للتشكيك وقد كان عمل «الشك الفلسفي» الذي قام به في مصر طه حسين اكبر اعمدة الغزو الثقافي ومع ذلك فقد زحف الاسلام إلى الغرب بعد أن أُخْرِجَ المسلمون من الاندلس ومن البلقان، زحف سلما وكون جاليات جديدة .

ويرى الكثير من الباحثين أن الاستشراق والتنصير توأمان احدهما

يشكك في ايمان المسلم ومسلماته ليأتي الآخر لاصطياد مسلم حائر كهذا وقد تنوع العمل بين المؤسستين فنجد أن بعض القساوسة اصبحوا مستشرقين امثال «مونتجمري وات» استاذ الدراسات الاسلامية والعربية في جامعة ادنبره ببريطانيا ومن المنصرين مستشرقون امثال «كينيث كراع» وهناك دعوة عريضة مثارة الآن حول توجه بعض الباحثين الغربيين إلى الاعتراف بالاسلام وأن امثال جاك بيرك اخذ يترجم معاني القرآن إلى اللغة الفرنسية ليقدمه للغرب وهذه تحولات لا قيمة لها لأنها تخدم اهداف الغزو الفكري ومؤسساته العامة.

ومن هنا فإن الصحوة الاسلامية تواجه اليوم خططا جديدة من قوى الغزو الثقافي والاستشراق والتغريب. ليس في مجال الفن والمسرح والادب الاباحي والقصة المكشوفة ونظرات النينوية والحداثة والتفكيكية بل في مجال التنصير نفسه حيث يجري اعادة تكثيف حملات التنصير تقول الدكتورة زينب عبد العزيز في بحث عنوانه «من اوربان الثاني إلى يوحنا بولس الثاني» حيث دار البحث حول التوجه الكنسي لاعادة تنصير العالم والذي اعلنه بابا روما الحالي عام ١٩٨٢م في كمبوسيل باقصى شمال غرب اسبانيا «الاندلس من قبل» وقد اعتبرته الباحثة اعلان حرب صليبية جديدة تماثل تلك التي اعلنها بابا الفاتيكان اوريان الثاني ١٠٩٥م خاصة وأن هذه المدينة هي آخر ما امتد اليها الفتح الاسلامي واصبحت مركزا يحج اليه مسيحيو الغرب بعد القرن الحادي عشر.

واكدت الباحثة أن هذا التوجه خاطيء من اساسه حيث أن العالم

لم يكن نصرانيا لاعادة تنصيره من جديد فضلا عن انه يتعارض مع التوجهات المعلنة والتي قد تكون لتحذير المسلمين حول الحوار والتسامح ودعت إلى تبني حملة مضادة لتوحيد الصفوف للجهاد الشرعي في سبيل الله . أ . هـ.

وفي مجال الاستشراق يأتي في الاخير جاك بيرك وترجمة معاني القرآن إلى اللغة الفرنسية تقول الدكتورة زينب عبد العزيز : (إن ترجمات معاني القرآن منذ القرن السابع عشر وحتى الآن باقلام مستشرقين كبار لهم اسماء رنانة لم تكن في حقيقتها إلا تحريف لمعاني القرآن تتستر وراء اردية علمية ومنهجية إلى أن جاء المفكر الفرنسي الكبير جاك بيرك ليرفض انتماءه إلى حركة الاستشراق ويتمسك بأنه دارس للتاريخ ومؤرخ ولكنه حين اصدر ترجمته لمعاني القرآن التي صدرت في فرنسا عام ١٩٩٠م كشف عن وجه آخر فقد برز اهتمامه بتقديم معاني القرآن مشوهة للغرب «لأن الكثير من الناس والمفكرين الذين لايقبلون الصورة المادية للحياة المعاصرة ويرفضون مجتمع الاستهلاك : هذا المجتمع المادي ويفضلون على المدنية المعاصرة مدنية الاسلام الروحية وينادون بالعودة اليها» فكأنه اراد أن يقول للمفكرين الفرنسيين الذين اصبحوا يرفضون حضارة الغرب الآن ويرون انها على وشك الانهيار لانها فقدت الاساس الروحي ، يريد أن يقول لهم : هذا هو الاسلام ايضا مليء بالخرافات و المتناقضات إلى آخر الاتهامات القديمة المعروفة التي تتردد كثيرا) .

وهناك مستشرق فرنسي آخر هو «رجيس بلاشيم» الذي يستشهد

به جاك بيرك كثيرا والذي يقول في مقدمة كتابه عن القرآن فيتحدث عن الصورة المشوهة التي قدمتها اوربا عن الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى ترجمات معاني القرآن من القرن الخامس عشر فيقول: (إن هذه كلها تمثل عنصرا اساسيا في الصراع القائم ضد الاسلام).
ويردد جاك بيرك نفس الاكاذيب عن عدم قدرة الاسلام على الحياة في عالم يعيش دورة التكنولوجيا وانجازات العلوم الحديثة ويواجه تحديات من نوع جديد.

ومع الاسف يتساءل في صورة التشكيك عن قدرة الاسلام على التأقلم مع ضروريات المستقبل.

وتتلخص المحاور الاساسية لعمل جاك بيرك فيما يأتي:

١ - التشكيك في نزول وترتيب وتجميع القرآن.

٢ - تأثر القرآن بالشعر الجاهلي وبالفكر اليوناني القديم.

٣ - التشكيك في أن القرآن تأثر بمزامير داود.

٤ - احتواء القرآن على خط اسطوري مثيولوجي.

٥ - ان مفهوم الله «تبارك وتعالى» في القرآن يثير الخوف في نفوس المؤمنين به «ويغفل أن الله تبارك وتعالى هو الرحمن الرحيم السلام الودود».

٦ - التناقض بين الاشارة إلى اهمية العقل في القرآن وبين الايمان بالغيب الذي يعني عنده مساحات من الظلام (ويغفل ان الغيب هو ما يمثل علم الله تبارك وتعالى وارادته المطلقة وغير المحدودة بينما علم الانسان وارادته لهما حدود بحكم طبيعته النسبية).

٧ - إن التشريع الاسلامي مرجعه الفقه وهو تراكمات قضائية غير واردة في القرن الذي لايتضمن إلا نحو خمسمائة آية تتضمن الاحكام.

ويقول: (إن اقل ما يمكن أن يقال هو أن القرآن لايتضمن آية قرآنية بالمعنى المفهوم لا في العبادات ولا في مفهومها ثم ينتقد غموض التعبيرات في الاحكام وتناقض الشريعة ويتهم بعض المفسرين الكبار بتحريف معاني بعض الآيات كما يحاول الايحاء بأن مفهوم الله «تبارك وتعالى وجل وعلا» هو ترديد لذات المفهوم في الفكر اليوناني القديم).

وهكذا نرى صورة الاستشراق في نهاية القرن العشرين الميلادي وهي ماتزال تحمل صورة الخلاف والحقد وتحتاج دائما إلى من يدحضها ويصححها.

فرويد والنفس الانسانية

إن ظاهرة سقوط الايديولوجيات وتداعي المدارس الاجتماعية والانسانية اصبح واضحا فقد تراجعت الداروينية والفرويدية والماركسية والعلمانية وتكشفت حقائق كثيرة ثبت أن هذه المذاهب لم تكن علوما ولكنها كانت وجهات نظر عقلية عرضة للخطأ والصواب كما انها لم تكن علوما مستقلة للبشرية كلها وانما كانت وجهات نظر للفكر الغربي في مرحلة انفصالية عن الدين سادت العالم المسيحي افعال لتحديات.

ومن هنا فقد عجزت عن العطاء الحقيقي، وسقطت تماما حين نقلت إلى مجتمعات اخرى خاصة المجتمعات الاسلامية التي تحمل منهجا جامعا ربانيا مرنا قادرا على تقبل متطلبات المجتمعات وتحولات الحضارة يقول ايزنيك عالم النفس:

إن الجديد الذي جاء به فرويد يخلو من الصواب والصائب الذي قال به لم يكن جديدا.

ويثبت «ايزنيك»: أن منهج أو اسلوب التداعي للافكار الذي زعم فرويد انه ابتكره كونه وسيلة للعلاج النفسي يجعل المعالج يطلق العنان لذكرياته وافكاره دون تدقيق أو تسلسل منطقي ولم يكن من ابتكاره وإنما كان من ابتكار آخر هو «سيرفي اسس جالتون» قبل فرويد باكثر من ربع قرن.

وقد ثبت أن فرويد قد سرق منه فكرته الاساسية عن ارتباط دوافع

الانسان ورغباته وتصرفاته بدوافع الغريزة الباطنية وغير الواعية .

وقد ذهب البعض إلى أن تفسيرات فرويد التي تعتبر العقل الباطن معبرا عن رغبات مكبوتة لايستطيع العقل الواعي تحقيقها أو البوح بها هذا لم يكن من وجهة نظره إلا تعبيرات عن الغريزة الجنسية والحيوان في الانسان .

وقد فسرها «باقلون» على أنها نشاط ذهني للمخ لايختلف عن نشاطه في اليقظة وانها محصلة افكار واحداث الماضي والحاضر وقد يكون مصدرها المنبهات الصادرة عن الاعضاء الباطنة للجسم كامتلاء الامعاء أو صعوبة التنفس .

ويرفض العلماء الماديون والوجوديون والعلمانيون فكرة الاحلام الصادقة الصادرة عن نشاط الروح خارج الجسد اثناء النوم، كما رفضوا أي علاقة لها بالاخبار المستقبلية وقالوا عنها انها افكار اسطورية بدائية تسببت في نشأة الافكار الدينية في العالم الآخر لدى الشعوب البدائية القديمة .

وغاية القول في «الفرويدية» هي قطاع من الفلسفة المادية التي هي مصدر العلوم الانسانية والاجتماعية «النفس والاخلاق والاجتماع» ولدى المسلمين مفهوم اكثر نضجا واكثر سماحة واكثر مرونة فهو يقيم الاحلام على ثلاث مناهج : منها ما سببه اهواء النفس ومنها ما هو نتيجة لاضطراب المعدة ومنها ما هو قادم من خارج الجسد من الروح وهذه هي الاحلام الصادقة .

تقول الكاتبة الاسلامية مايسة عبد الرحمن :

(إن لفرويد مشكلة نفسية خاصة مع والديه جعلته اختلق فكرة

عقدة أوديب ونظرية تطور الغريزة الجنسية منذ الطفولة هذا كما ان ابحاثه اقتصرت على الغيبيات المريضة والشاذة التي تتردد في عيادته ثم عممها على الجنس البشري كله لكي يدفع عن الجنس اليهودي ما عرف عنه من خسة الاخلاق مما دفع العالم كله إلى تحقيرهم وطردهم ومحاربتهم فاراد أن يقول للعالم كله انتم جميعا منطبعون بصبغات وضيعة ولكنهم يكنونها فمرضكم وعلاجه هو حرية التعبير عنها وبالرغم من عدم منطقية فلسفته وتعسفه الجلي في تفسيراته مما اثار سخط تلاميذه انفسهم واتخاذهم منه منحى مخالفا إلا أن الدعاية الصهيونية قامت بنشر افكاره والترويج لها واعتبرته رائدا لمدرسة التحليل النفسي.

وقضى سلامة موسى زهرة حياته خلال اكثر من اربعين عاما ينشر افكار فرويد ويدافع عنه ويتحدث عنه كقديس.

لقد آمن به بعض العلمانيين في عالمنا العربي وفي مصر على وجه الخصوص وتجاهلوا أن الانسان روح وجسد ولقد وضح منذ وقت بعيد الخلاف العميق بين وجهة النظر التي قدمها الاسلام عن النفس والاحلام وبين وجهة النظر الغربية التي تعتمد على مفهوم فرويد (الذي يطلق عليه علم التحليل النفسي اليهودي).

والعلماء ينكرون على فرويد نظرته الضيقة إلى مفهوم الاعلاء لأن فرويد ينكر الاستقلال الروحي ويعد الحالات النفسية العليا كالالهام الشعري والحب الصوفي مجرد تحويلات واقنعة للغريزة الجنسية وهكذا يفرض فرويد على الفكر الغربي مفهوم اليونان والفكر اليهودي الذي يحتقر الجوييم ويرفض مفهوم المسيحية ويحاربه بشدة.

وسقطت الوجودية قبل الماركسية

لانها خرجت عن الاصالة والفطرة وعن سنن الله تبارك وتعالى الذي اقام عليها هذا الكون وكانت بمثابة «ازمة» في جنب الحضارة الغربية نتيجة الصراع بين الالمان والفرنسيين خلال الحرب العالمية الثانية.

لقد انهارت فرنسا تحت ضربات الفساد والانحلال كما قال زعماؤها وجاءت الهزيمة لتضاعف الخطر كما يقول هيدجر: لاشيء اكبر من الضياع بعد الهزيمة العسكرية التي ادت إلى انهيارات معنوية واخلاقية واجتماعية فالانسان عدم واخلاقه عدم «هذه العدمية» بعد الهزيمة والانهيار فلم تعد قادرة على أن تفعل شيئا إلا أن تستسلم، الاستسلام للاسطورة، للخرافة، للغرائز الحيوانية فكانت لذة الانسان الكبرى أن يلف حبلا حول عنقه ويمشي وراء الداعي الذئب.

ماذا فعل سارتر، هل كانت الوجودية منقذا لفرنسا أم مزيدا من الهزيمة والتدمير.

لقد صنع سارتر كفنا لدفن الانسان بكامل حريته فلم يعد للانسان ارادة إلا إرادة الموت فقد صادروا حياته وهتكوا عرضه وقهروه في ظل الاحتلال النازي بلا شرف فهو حر في أن يفعل ما يشاء ولا لوم عليه.

وابشع ما اهتدى اليه سارتر هو هذا القرف الذي هو طعم الحياة

على السنة الناس، مادامت الاشياء بلا معنى فلا معنى للافكار والمشاعر والعلاقات.

وبالرغم من أن سارتر حاول أن يعقد زواجا سعيدا بين الوجودية والماركسية باعتبار أن الماركسية واقعا لايمكن انكاره فقد حمل الماركسية كل اعباء الزواج والزفاف فالوجودية قد فرضت نفسها على الماركسيين.

من اجل هذا اعترض جارودي على كل فلسفات الوجودية التي استعارت كل ما في قاموس التعصب الديني واللاديني فهي قد جردت الماركسية والمسيحية من اسلحتها ثم سددتها اليها.

واذا كانت الماركسية نقد العمل بالحياة العادية وبالجنة في نهاية الحياة وذلك حين ينعدم الصراع بين الطبقات فإن الوجودية قد وعدت المثقفين والعمال بنفس الشيء - بانعدام الصراع بين الماركسية والوجودية وسيطرة الوجودية على كل شيء وقد اصدر بعض الكتاب منهم: اندريه جيد كتاب عن «الاله الذي هوى» أو عن المعبود الذي اسقطوه من حسابهم وينادون بأن ستسقطه البشرية حتى الرسام بيكاسو كان شيوعيا فقد رسم لوحة لستالين جعله كالمسيح أي انه اصبح معبودا ولذلك اوجب الكفر به.

وقد عرض جارودي الفلسفة الوجودية واطال النظر فيها وتعمقها وهاجمها من الداخل واشار إلى أن الوجودية قد نقلها الروس من المانيا إلى فرنسا، وقد نقلوا خيبة الأمل الكبرى بعد الحرب العالمية الاولى ونقلوا المذابح الفكرية للماركسيين وقد كان جارودي ماركسيا متعصبا ثم انصرف عن الماركسية لنفس الاسباب التي

يطالب بها القاريء بالعدول عن الوجودية الملحدة والوجودية المؤمنة وعن الظاهرنائية والبنائية الشخصانية وكلها مذاهب فلسفية معاصرة وتفريعات على مذاهب كانت سائدة وقال ان الماركسية اصبحت قوالب حديدية واغلالا عقلية وانها تحولت إلى نوع من الكهانة إلى الرموز والطلاسم والمحرمات فكان لابد من الخروج عنها .

اسلمة الثقافة

ثقافة أي أمة: هي خلاصة عقيدتها وجوهر فكرها وقيمها ومن ثم فإن الثقافة العربية لابد أن تكون اسلامية الانتماء والتوجه.

وإن يكون هناك اتصال موصول بين العصور حتى لاينفصل العصر الحديث عما سبقه أو عن اصله الاصيل المستمد من القرآن الكريم والسنة سواء في قضاياه أو في استجاباته على التحديات الموجهة اليه.

وهذا هو الخطر الذي تواجهه الثقافة الاسلامية العربية اليوم في ضوء التحديات الوافدة، فنحن مطالبون بأن نضع مناهج تعبر عن ارادته ومن ثم يجب أن تسرد الجامعة والصحافة امانة الالتزام الاسلامي فقد بدأها المستعمر على انها مؤسسات بلا هوية وفرض عليها دراسة فكر الاغريق والرومان وفكر الشعوبيين والباطنية والملاحدة دون أن ندرس فكر الاسلام وحضارته درسا صحيحا، بعيدا عن تصورات الفكر التنصيري والاستشراقي لها حيث بدت مليئة بالدس المقصود في محاولة لجعل المواطن المسلم خصما عنيدا لثقافة دينه.

وهم يدعون إلى فصل الثقافة عن الدين في مصر وغيرها من البلدان ولكن في الغرب يربطون بينهما حتى اكثر كتابهم تحررا وهو اليوت يصر على الربط بين الدين والثقافة الغربية ومن هنا كان لابد من اعادة النظر في مناهج الثقافة وان يكون منطلقها العقيدة الاسلامية

والالتزام بالدفاع عن قيم الاسلام فتصبح الثقافة العربية «نسبة إلى اللغة» تستمد وجودها الراهن من التعاليم الاسلامية وترتبط بالاسلام ارتباطا لازما وشاملا فالبلاد العربية تمثل وحدة ثقافية تقوم على وحدة الدين ووحدة التراث ووحدة اللغة.

هذه الوحدة هي الدرع المكين الذي حفظ للعرب سماتهم الثقافية التي استمدوها من القرآن وحفظ لهم كرامتهم، كما كانت المرتكز الاساسي للتحرر والانطلاق وهي التي مهدت وتمهد لوحدة شاملة وتعني الوجوه الثقافية كما يقول دكتور ابراهيم حسان: اذابة الفوارق النصتورية والحسية والسلوكية بين الاقطار التي تجمعها ثقافة واحدة.

ونحن الآن في حاجة إلى تصفية الخلافات التي تركها ارتباط بعض الاقطار الاسلامية بالفكر الماركسي أو بالفكر القومي على المفهوم الغربي أو بالفكر الاوربي سواء أكان فرنسيا أم انجليزيا أم امريكيا لنعود إلى وحدة ثقافية جامعة قوامها التوحيد الخالص والرابطة التي كونتها حصيلة الاخلاقيات والعقائد الاجتماعية التي قدمتها الاديان والتي شكل الاسلام الصورة الجامعة لها والتي هي بمثابة دين للمسلم وثقافة لغير المسلم.

ولابد لنا أن نقوم بهذا قبل أن ننظر في قضية «الانفتاح على العصر» ذلك لأن هذا الانفتاح يجب أن تسبقه ركيزة اساسية مستمدة من عصارة رسالة السماء من حيث السلام الاجتماعي والارتباط باللغة والعقيدة والتاريخ في معارضة شاملة لكل ما تدعونا اليه الحملات المسمومة المتمثلة في الحداثة والبنيوية والتفكيك وكلها

دعـوات دخيلة استـشـراقيـة وتغـريبيـة ترمي إلى التنكر للقـديم «كل القـديم» والمـاضي والتاريخ والعقـائد والقيم كذلك فنحن بمفهـومنا المتـوازن الوسط الجامع البعيـد عن انشطارية الغـرب في الفـصل بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة، نحن بهذا المفهوم الجامع ننكر اطلاق حرية الفن والادب أو حرية الابداع اطلاقا غير محدود او تدمير كل الضوابط والمنطلقات على النحو الذي تدعو اليـه هذه المـذاهب المـستـمـدة اساسـا من الوجـودية والمـاركسيـة والفلسفة المادية التي حملت سموم العلوم الاجتماعية والانسانية.

ويجب أن نكون على وعي بانه في سبيل تدمير الوحدة الاسلامية الجـامعة طرح الفكر الغـربي اربع ايديولوجيات خطيرة (العلمانية، القومية، الديمقراطية، الماركسية).

ونحن المسلمين لنا مفهوم للقوميـة في داخل دائرة الوحدة الجامعة يختلف عن مفهوم الغرب الذي نقل الينا في الخمسينات وما بعدها وكذلك لنا مفهومنا للشورى المختلف عن الديمقراطية ولنا مفهومنا للعدل الاجتماعي الذي يختلف عن الماركسية.

إن أسلمة الثقافة غاية كبرى من الغايات الاساسية في التحول من التبعية إلى الاصالة وهي احدى غراس الصحوة الاسلامية وهي جزء من مشروع الاسلمة العام للعلوم والمصطلحات وهي القاعدة الثانية بعـد قـاعـدة «تصحيح المفـاهيم» على طريق الوصول إلى منهج اسلامي جامع.

التنوير «مصطلح مسموم»

يقصد به ربط نهضتنا الاسلامية المعاصرة بما يسمونه عصر التنوير في اوربا وبذلك يربطون تاريخنا بتاريخ اوربا ويصورونها على انها وافدة من الخارج ولا فضل لاصالتنا وثقافتنا وعقيدتنا فيها بل يدعي البعض أن الحملة الفرنسية التي وجهت إلى مصر في عهد نابليون ثم إلى الجزائر بعد ذلك وتونس والمغرب بأنها كانت بداية ما يسمونه عصر التنوير في مصر.

بينما أن من يعرف حقيقة الامور يعلم تماما أن الحملة الفرنسية قد ارسلت إلى مصر لهدم النهضة التي كان قد بدأها علماء الاسلام من قلب الجامع الازهر وقد تحقق لهم ذلك عندما اقحموا خيولهم حصن الازهر واستطاعوا القضاء على النوابغ وطرح مفاهيمهم العلمانية والالحادية عن طريق تغريب شبابنا الذين ارسلوا إلى فرنسا.

ولقد كان التنوير في اوربا معنى معكوس، فقد وصف العصر الذي ارتفعت فيه اعلام الدعوة إلى التحلل والالحاد والاباحية والتي نتجت عنها الثورة الفرنسية باسم التنوير ايمانا بأنهم اخرجوا الاوربيين من ظلمات اللاهوت الكنسي واستطاعوا تدمير التقاليد التي كانت تحبس اليهود في الجيتو، فانطلق اليهود ليسيطروا على الثقافة والصحافة والاقتصاد الاوربي كاملا.

ولقد رؤي أن تسمى هذه المرحلة التي بدأت من الحملة الفرنسية

على مصر والبلاد العربية خلال مائة سنة وجدنا انها لم تزد على أن تكون محاولة لتثبت قواعد التغريب والغزو الثقافي في محاولة لحجب الشريعة الاسلامية والتشكيك في عطائها وجعل المثل الاعلى هو رفع مستوى المعيشة وليس المثل العليا الاسلامية الجامعة بين التقدم المادي والروحي ومحاكاة المسلمين للاوربيين واحلال الحروف اللاتينية محل الحرف العربي في اللغات التركية والاندونيسية واعلاء شأن الوطنية والقومية والعلمانية .

وبالرغم من كل ما كشف عنه البحث العلمي الاصيل من أن اغلب مناهج الغرب ليست سوى نظريات وفروض تقبل الخطأ والصواب فانها تقدم لنا نحن المسلمين على أنها علوم شأنها شأن العلوم التجريبية والواقع انها تعجز عن تحقيق ذلك فنظرية دارون قد تأكد انها نظرية ذات حلقة ناقصة وان حفريات الآثار قد كشفت عن أن الانسان وجد منذ مئات الالوف من السنين كاملا قائما على ساقيه كما نراه اليوم ، كذلك عجزت نظريات فرويد وماركس ودوركايم وسارتر عن أن تتأكد من وجهة علمية صحيحة .

ومازالت هذه الافكار رغم ذلك تسيطر على الذهنية الغربية وماتزال تجري المحاولات لفرضها على الفكر الاسلامي الذي يتميز بمنطق مختلف واسمى وارفع من ناحية العطاء الانساني .

الباب الخامس

١ - تقديم الإسلام كونه بديلاً للمنهج المادي.

٢ - عطاء التاريخ الإسلامى.

٣ - التراث الإسلامى.

٤ - الفكر الباطني والشعر الحديث.

٥ - سقوط الحضارة الغربية.

تقديم الاسلام لاوربا

كونه بديلاً للمنهج المادي

كشف الدكتور مراد هوفمان[1] في كتابه «الاسلام كبديل» عن امرين:

أولا: عن فساد المجتمع الغربي والحضارة الغربية وقد نقد المذهبين: الرأسمالية والشيوعية.

ثانيا: كشف عن سبب تدهور العالم الاسلامي ويرى انه يعود إلى ثلاثة اسباب رئيسية: اولها: الهجمة المتزامنة التي شنتها اوربا المسيحية على العالم الاسلامي من الغرب وشنها المغول عليه من الشرق فسقط مركزا الحضارة الاسلامية الزاهرة في قرطبة عام ١٢٣٦ وبغداد ١٢٥٨م. وثانيها: انه منذ القرن الرابع عشر استقر لدى الجمهور أن علوم الشريعة هي سيدة العلوم وان السلف الصالح قد احاط بكل شيء فيها وقتله درسا وبحثا.

فأخذ الدارسون والباحثون يكشفون بالشرح والتلخيص والتعليق على اعمال السلف فساد الركود والجمود المناهضان لدعوة الاسلام إلى طلب العلم. وثالثها: ان العالم الغربي ابتداء من القرن التاسع عشر اخذ يتخلى عن القيم الدينية ويتبنى منهجية مادية صرفة انتهت إلى تطور مادي كبير ولكنه بعيد عن الصراط المستقيم.

---

(١) سفير المانيا لدى المغرب ولد عام ١٩٣١م حاصل على دكتوراه من جامعة هارفرد ودبلوم في الفلسفة.

ويتحدث هوفمان عن المسيحية فيقول: ان المسلمين يصلون ويسلمون على السيد المسيح بوصفه احد الانبياء الذين تلقوا الرسالة الالهية التي تدعو إلى عبادة الله تبارك وتعالى وعدم الاشراك به غير أن هذه الرسالة تعرضت إلى كثير من التغيير والتحوير والتشويه ويشير إلى أن الكنيسة هي التي ادخلت خلال المجمع المسكوني في نيقه عام ٣٢٥م عقيدة التثليث التي تجعل من المسيح ابن الله ولن يجد القاريء في اي ترجمة صحيحة للعهد الجديد اية جملة أو كلمة قالها المسيح يستنتج منها ذلك الافتئات المنسوب اليه ظلما وعدوانا ان عيسى ليس الله وكل منهما منفرد في الانجيل بمكانته: الله رب وعيسى العبد لا اكثر ولا اقل ان القاريء للانجيل هذا سيقع على العكس حتى في انجيل يوحنا نفسه: يقول عيسى: (اذهبي إلى اخوتي وقولي لهم اني اصعد إلى ابي وابيكم والهي والهكم) الاصحاح ١٧٠٢٠/ ١٢ ويرى الدكتور هوفمان أن الحوار بين الاديان خلال الخمسين سنة الاخيرة لم يحقق التقارب المنشود بين هذه الاديان وفي مجال العقيدة كان محدودا بحدود لأن كل دين يصطدم باحدى النقاط الجوهرية.

- كون المسيح ابن الله عند المسيحيين.
- كون القرآن وحي الله لدى المسلمين.
- كون اليهود شعب الله المختار لدى اليهود.

ولكنه يرى امكان المصالحة بين الاديان اذا وافقت الهيئات المسيحية على تصحيح نظرتها الى طبيعة المسيح عليه السلام.

يقول الدكتور علي القاسمي: ان ما جاء في كتاب «الاسلام

كبديل» وبقية مولفات دكتور مراد هوفمان من معرفة معمقة ومنهجية رصينة وعقيدة راسخة واحسب ان التاريخ قد ينسى عندما يؤرخ للدكتور هوفمان انه كان دبلوماسيا متمرسا ولكنه سيذكر بكل تأكيد انه المفكر الالماني الذي دعا اوربا لاعتناق الاسلام في القرن العشرين.

وكان السفير الالماني هوفمان قد اعلن اسلامه في بون في ٢٤ سبتمبر ١٩٨٠م.

(نطقت بالشهادة في المركز الاسلامي بكولون «لا إله إلا الله محمد رسول الله» ومن الاسماء الاسلامية اخترت «مراد فريد» فابتداء من اليوم انا مسلم لقد وصلت).

يقول الدكتور القاسمي: ويخيل إليَّ أن الدكتور هوفمان اختار اسم «مراد» تخليدا لذكرى السلطان العثماني «مراد الاول ١٣٦٢ - ١٣٨٩» الذي استبسل في جهاده لنشر الاسلام في اوربا وتوجه بانتصاره على التحالف الصربي الكرواتي البلغاري في معركة كوسوفو الشهيرة ١٣٨٩هـ التي استشهد فيها السلطان مراد نفسه عن عمر يناهز ثلاثة وستين عاما والتي مهدت الطريق لفتح القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية ١٤٥٣ ويغير اسمها من قسطنطين بول إلى مدينة اسلام بول الذي تحرف تدريجيا لتصبح «اسطنبول» واذا كان مراد العثماني قد جاهد بسيفه البتار وبراعته الحربية في سبيل الاسلام فإن مراد الالماني يجاهد ببراعته الاخاذة وشجاعته الادبية التي لاتوصف في سبيل تقديم الاسلام إلى اوربا بوصفه البديل الوحيد للايديولوجيات السائدة في الغرب عامة.

وكان هوفمان قد اعلن في مؤتمر ضخم حاشد لوزارات دفاع دول حلف شمال الاطلنطي أن العلل الفكرية والنفسية والاجتماعية التي تعانيها الاجيال الصاعدة في الدول الصناعية ليس لها حل عن طريق ايديولوجية غربية لمكافحة الوضع المتردي وانما السبيل الوحيد هو الاسلام.

وهكذا اضاف هوفمان حلقة جديدة في سلم جارودي وبوكاي ومحمد اسد وسجرن هونك.

يقول دكتور هوفمان: إن تجربتي الخاصة التي قادتني إلى اعتناق الاسلام تشكلت من خلال ثلاثة عوامل لم اكن اتوقع في باديء الامر أن تقود إلى اكتشاف حقيقة الاسلام ثم اعتناقه. اولى تلك العوامل يعود إلى سنوات حرب التحرير الجزائرية التي كنت شاهدا على بعض جوانبها ابان سنوات عملي في الجزائر حيث الصبر غير العادي الذي كان يتحلى به هذا الشعب المسلم واصراره الفريد على تحرير ارضه قد لفتا انتباهي وجعلاني اتساءل عن المصدر الذي استقى منه شعب الجزائر كل تلك القدرة على الصبر والاصرار.

وقد قادني ذلك على قراءة ودراسة القرآن الكريم ولقد وجدت في القرآن المصادر الحقيقية التي يستطيع الانسان أن يستمد منها اسباب القوة الروحية والقدرة على الصمود في وجه المكاره ثم قرأ لكثير من العلماء المسلمين وفي مقدمتهم ابن خلدون حيث ساعدته كتاباتهم على ايجاد اجوبة شافية لكثير من القضايا التي كانت تؤرقه. وقد وجدت حلولا كثيرة للقضايا والازمات التي تعاني منها اليوم المجتمعات الغربية وخاصة تفشي المخدرات والتفكك العائلي

وغيرها من الظواهر الاجتماعية التي تهدد حياة الفرد بالتفكك والانهيار وقال ان الفرد في المجتمعات الغربية اصبح يعيش وفق معايير ومفاهيم مناقضة للطبيعة البشرية مؤكدا أن ذلك الحال لايمكن أن يستمر.

إن الحضارة الاسلامية بقيمها الانسانية الرفيعة ليست بعيدة عن الحضارة الاوربية المعاصرة بل إن كثيرا من الاكتشافات العلمية تعود بجذورها إلى الاسلام وان المشكلة تكمن في أن كثيراً من الاوربيين لايدركون كيف يكون الاسلام هو البديل لنمط الحياة السائد اليوم في المجتمعات الاوربية.

عطاء التاريخ الإسلامي

لايزال تاريخ الاسلام عاملا هاما في بناء الشخصية وتكوين الوجدان واعطاء المسلم ذلك الاحساس الصادق بالثقة في نفسه وعقيدته وأمته، من خلال تاريخ عريض عميق الجذور تشكل في ضوء منهج القرآن وشريعة الاسلام وهو شأن كل تاريخ الأمم فيه صفحات المجد والعزة وصفحات الضعف والتحديات تلك سنة الحياة ومايزال منهج الاسلام هو الاصل الثابت الخالد على الزمن وسيظل التاريخ هو العمل الانساني الذي يلتقي بالمنهج أو يختلف معه.

ولكن خصوم الاسلام يحاولون بكل قوة اطفاء نور هذا التاريخ والاعتساف في الحكم عليه والادعاء بأن المسلمين يريدون اعادته القهقري، وما كان ذلك مفهوم الاسلام في الحقيقة فالمسلمون يعلمون تحولات التاريخ وايقاع العصر ودينهم واسع الاطر قادر على معاصرة كل البيئات والعصور واعطائها ما يحتاج اليه، وليس شأن الايديولوجيات التي تقصر عن مواجهة المتغيرات.

ولعل اخطر مايعمل له النفوذ الاجنبي «التغريب والغزو الثقافي» هو حجب جانب الغيب وعطاء الله تبارك وتعالى للمؤمنين، فهم لايعرضون ادوار الجهاد والاستشهاد وبيع الانفس والارواح لله خالصة وينظرون إلى الامور نظرية مادية خالصة بينما يقرر الاسلام أن هذا الجانب من الايمان هو العامل الاكبر من عوامل النصر إلى جانب القوة المادية حيث لاتفلح القوة المادية وحدها وقد انتصر المسلمون على طول تاريخهم بالعدد الاقل.

كذلك فهم يدعون أن المسلمين خرجوا من جزيرتهم في سبيل البحث عن الطعام وتلك مقولة اعدائهم من الفرس ولو انهم انصفوا لعرفوا أن المسلمين خرجوا في سبيل الله وتركوا دعة الحياة إلى القتال والحرب واحتمال مشقة الجهاد ولو عرفوا لقالوا مثل ما قال ذلك المؤمن (خرجنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الواحد القهار).

اما ما اوردته كتب التاريخ عن الخلافات بين الامراء والحكام فقد اراد به الذين اعدوا هذه البرامج - في ظل النفوذ الاستعماري - تصوير المجتمع الاسلامي بصورة كاذبة، والادعاء بأن الاسلام غير قادر على العطاء مرة اخرى وقد كذبتهم الاحداث وعاد الاسلام يفرض وجوده على المجتمعات التي حاولت القضاء عليه مثل تركيا وايران اما هذه الخلافات فانها لم تكن بمثل هذه الصورة، خلال اربعة عشر قرنا ثم ان المجتمع نفسه ظل سليما قويا متماسكا وان الذين رتبوا هذه الخلافات لم يذكروا المسافات الواسعة بينها أو الايجابيات العديدة خلال هذا التاريخ الطويل.

كذلك فقد عمدوا إلى الغمز والتشويه والكذب المتعمد لتشويه الامجاد وخاصة بالنسبة للشخصيات ذات المكانة الراسخة ومنها تشويه صورة الصحابي الجليل معاوية بن ابي سفيان ووصفه بالدهاء والمكر وصورة هارون الرشيد وصورة صلاح الدين ومحمد الفاتح والسلطان عبد الحميد.

كذلك فقد وقفوا موقفا مشينا ازاء المماليك الذين ردوا التتار في عين جالوت وصفوا الحملة الصليبية واجلوها نهائيا عن ارض

الاسلام وازاء الدولة العثمانية التي حمت الأمة الاسلامية اربعة قرون كاملة . ومن ذلك وصف العصر العثماني بالاستعمار بينما لم يعرف هذا المصطلح إلا بعد ذلك وقد كان للعثمانيين فضل توحيد العالم الاسلام من مشرقه إلى مغربه وحموا حوض البحر الابيض المتوسط من استئناف الغزو الاوربي ودافعوا عن تونس والجزائر .

ولقد حفل التاريخ الاسلامي الذي كتبه اتباع المستشرقين بكثير من التجاوزات ومن ذلك احياء مؤامرات القرامطة والزنج والباطنية واحياء تاريخ ما قبل الاسلام الوثني «الفرعونية والبابلية والفينيقية» ومحاولة تصوير تاريخ الاسلام بأنه نهضة مرحلية .

التراث الإسلامي

١ - لقد تقرر أن الاسلام بوصفه دينا ربانيا عالميا جامعا للروح والمادة ان لايوضع في مجال المقارنة بالاديان أو بالمذاهب العقائدية الاخرى، كذلك، فالاسلام لايقبل بالعلمانية التي تهدف إلى أن تفرغ المسلم من عقيدته وان يترك بعض احكام دينه، أو يتجاوز عنها، فضلا عن انها تعمل على تحويل الدين من نظام مهيمن إلى نظام وضعي.

٢ - القرآن والسنة لايدخلان في مقولة التراث، بل هما من الثوابت، اما التراث فيبدأ بعمل العلماء والفقهاء والمؤرخين ويلتزم العمل الفكري والادبي بالتحرك في اطار الثوابت وعندما ينظر إلى التراث يجب أن تكون القواعد الاساسية التي قررها القرآن الكريم والسنة المطهرة قائمة، فإن النظريات الكلامية والاعتزالية والتصوف الفلسفي يجب أن ينظر اليها في ضوء مفهوم اهل السنة والجماعة، ورفض مايتصل منها بالفلسفة اليونانية، أو مذاهب الاشراق والباطنية.

٣ - كشف المسلمون زيف منهج الفلسفة اليونانية وحذروا من مخاطره على مفهوم التوحيد الخالص، وذلك منذ اليوم الاول لترجمة الفلسفات في القرن الثاني الهجري وكان ابرز العاملين في هذا المجال الامام الشافعي، والامام احمد بن حنبل، والامام الغزالي، وشيخ الاسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم. فقد اعلن الشافعي أن اللغة العربية لها منهج يختلف عن «ارجانون اليوناني» اما ابن حنبل فقد هاجم فتنة خلق القرآن وقال انها منقولة من الفكر

اليهودي، اما الغزالي فقد دحض مفاهيم «الفارابي وابن سينا» وكذب مقولتهم في ثلاث مواضع. اما ابن تيمية فقد نقض منطق ارسطو واعلن منطق القرآن الكريم.

٤ – تميز التراث الاسلامي بخصوصية ذاتية في تكوينه تجعله مختلفا عن غيره بما فيها التراث الاوربي. ذلك أن التراث الاسلامي متصل في منابعه الاولى بوحي إلهي متكفل بحفظ مضمون الحياة وكل فروعه دائرة في فلك الاسلام الروحي والثقافي.

٥ – مقولة أن التراث الاسلامي يخلو من تنظيم العلاقة الاجتماعية بين الناس مقولة خاطئة قال بها الذين ظنوا أن الفلسفة وعلم الكلام وتراث الفرق الاسلامية هو كل تراث الاسلام ولكن تراث الاسلام اوسع من ذلك واعمق.

كذلك فليس في الاسلام فصل بين العلاقتين «بين الله والانسان وبين الانسان والمجتمع» والفقه يعالج العبادة كما يعالج المعاملات.

٦ – خطأ القول بأن العودة إلى التراث هو نوع من الفرار إلى ابعاد الماضي ويجب أن يظل تراث الاسلام هو نقطة انطلاقنا في جميع العلوم والثقافة نحو الارتباط بالاسلام في اصوله «القرآن والسنة» وفي تطبيقاته خلال اربعة عشر قرنا على أيدي العلماء والفقهاء والمؤرخين.

٧ – إن المسلم المتعلم في الغرب ليس في مقدوره استيعاب ما في التراث الاسلامي لانه لايمكن أن يتعلم في الغرب اسلوب التعامل مع التراث مما يدفعه إلى الاعراض واليأس والظن بأنه ليس في التراث شيء حول موضوع البحث مع انه هو الذي لاخيرة له بتصنيفات التراث التي تندرج تحتها تلك المادة الملائمة لموضوعه.

الفكر الباطني والشعر الحديث

من اخطر التيارات الشعر الحديث والذي تشكل في حقبة الستينات ومن خلال الفكر العلماني وفكرة احياء التراث الصوفي، والباطني بالذات.

فقد عرف جميع الشعراء العلمانيين بهذا الاتجاه في احياء الفكر الباطني والالحادي والاباحي ومن خلال شخصيات لها دوي واسماء.

وكان لانتشار الفكر الباطني والفلسفي والفارسي القديم أثره في ظهور هذا الاتجاه وخاصة في بيئة الاديان والنحل المتشابكة «الشام والعراق» وأولى صلاح عبد الصبور «الشاعر المصري» اهتمامه بالحلاج. كما ان الشاعر العراقي السياب واللبناني ادونيس والمصري أمل دنقل نهجوا نفس نهج عبد الصبور.

والحلاج يمثل ركيزة خطيرة من ركائز الفلسفة التي تجمعت فيها عديد من تيارات الالحاد وانكار وجود الله تبارك وتعالى واحتقار الدين والغيب والنبوات من ذلك كله جاء من عصارات فلسفات الزرادشتية والمجوسية والغنوصية التي حاول دعاة التغريب احياءها من خلال الشعر الحديث تارة على ايدي هؤلاء أو من خلال اعتبار الفكر الباطني والافكار الهدامة للاسلام، دعوة الى العدل والحرية لاعادة احيائها من جديد لاداء نفس الدور الذي قامت به من خلال الزنج والقرامطة والبابكية والمزدكية في القرن الثالث والرابع

الهجري وقد اتخذت المسرحية الشعرية «أو النثرية» منطلقا لاذاعة هذا الفكر الباطني باعتبار انها تعطي حرية اكثر للكاتب أو الشاعر حيث لايطالب كاتب المسرحية بالصدق التاريخي أو الصدق الفني هذا فضلا عما تصوره المسرحية من اعطاء الحلاج قداسة مزيفة وترتفع به عن كيان الانسان: هذا الكيان البشري المحدود الذي لايمكن ان يتصف بالعظمة أو القداسة.

فالمسرحية والدراما والفن تفتح الباب واسعا لهدم كثير من المقومات الاصيلة للقضايا والامور، فضلا عن انها تدمر الحقائق التاريخية وتحدث اضطرابا شديدا بحيث تغري القاريء بقبول اخطاء كثيرة ربما تدخل إلى عقله وقلبه على نحو من انحاء الاعتقاد في صدقها.

واخطر ما في مسرحية الحلاج (والشعر الذي يعتمد على الاساطير والشخصيات التاريخية) انه ينطلق من خلال الفكر الباطني والتصوف الفلسفي، فلا تجد لمقولاته اي قدر من الاحكام أو الالتقاء بالاصول الاصيلة التي قدمها الدين الحق فهي تقوم على سخرية عريضة وتهكم بالغ وامتهان لا حد له لكل القيم التي تقررها الاديان أو الفطرة أو حقائق التاريخ أو واقع الحياة العامة وهناك العبارات المكشوفة والاباحية، هذا فضلا عن ظاهرة الالهاء والتسلية والاضحاك التي لاتقيم وزنا لاي عقيدة صحيحة.

سقوط الحضارة الغربية

جاء الاسلام علامة على وصول البشرية إلى عصر الرشد الفكري بعد أن مرت في عصور متوالية من الايمان والوثنية جاءت فيها انبياء الله تبارك وتعالى تترى، لكل أمة رسولها الذي يهديها إلى عبادة الله وحده ومعرفة مهمة الانسان ومسؤوليته والايمان بالغيب والبعث والجزاء.

وقد ظلت البشرية تواجه رسل الله وانبياءه بالاعراض والانكار فلايؤمن بهم الا القليل مندفعة الى اهوائها ومطامعها غارقة في اوثانها واصنامها.

ثم جاءت الرسالة الخاتمة بعد أن اصبحت البشرية اهلا لتلقي رسالة جامعة لكل البشر ولكل العصور حتى يرث الله الارض ومن عليها.

جاءت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لترد البشرية الى الحق وتكشف زيف دعاوى المبطلين على مدى العصور واعلنت منذ اليوم الاول انها ترتبط بملة ابراهيم الحنيفية السمحة بعد أن اصاب التحريف مسارها ومجراها وخروجها على الطريق الذي رسمه الحق تبارك وتعالى لها.

وقد كشف القرآن الكريم عن المنهج الاصيل في ارسال الرسل وانزال الكتب ومحاولات اهل الباطل من تحريف النصوص وتغيير المنطلقات في محاولة ترمي إلى ابقاء البشرية غارقة في الفساد

والاهواء والتحلل فكان بحق دعوة لاخراج الناس من الظلمات إلى النور وصدق الله العظيم: **﴿واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا. وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها﴾**. آل عمران الآية ١٠٣.

وعندما جاء الاسلام احدث هزة كبيرة بين اهل عصره اذ انه اختار الجزيرة العربية منطلقا له بعيدا عن مراكز الاديان السابقة اليهودية والنصرانية، وبعيدا عن الدولتين الكبيرتين المسيطرتين على العالم اذ ذاك: دولة الفرس ودولة الروم.

واختار الرسول صلى الله عليه وسلم الرفيق الاعلى وقد اسلمت الجزيرة العربية ووقفت جيوشها على ابواب فارس والروم وتقدم الاسلام في اسلوب معجز فاستطاع خلال اقل من ثمانين عاما من التوسع إلى حدود الاندلس غربا وإلى حدود الصين شرقا.

وقد اهتز العالم كله لهذا المارد المنطلق الذي سرعان مافرض وجوده الفكري والسياسي والاجتماعي على البشرية في خلال الف عام تقريبا استطاع فيها أن يضيء هذا الكوكب بما قدم من عطاء التوحيد والعدل والرحمة وبما ملأ العالم من معطيات العلوم والتجريب والكشف الذي هز عالم الغرب هزا شديدا حيث كان الغرب يرى أن الاسلام سيطر على مواقعه بعد أن سقطت الدولة الرومانية بينما الحق أن ارض افريقيا وآسيا التي حررها الاسلام لم تكن إلا مستعمرات للروم جاء الاسلام فاعطى اهلها حرية العبادة ورفع عنهم مظالم الرومان ووثنيتهم.

وكان من أهم ما قام به المسلمون هو فتح الاندلس والبقاء فيها

ثمانية قرون نقل فيها الاسلام إلى الغرب حضارته وتجاربه العلمية والتجريبية فاستطاع الغرب أن يستوعب علوم المسلمين وأن يقاوم بها وجود الاسلام على النحو الذي حدث عندما استطاع الغرب استعادة الاندلس واندفعت فلوله في طريق السيطرة على بلاد المسلمين.

وبعد أن رد المسلمون جحافل الغزاة من الصليبيين والتتار خلال اكثر من قرنين من الزمان سيطرت الدولة العثمانية فاقامت كيانا اسلاميا على قاعدة الخلافة الاسلامية حمى الأمة الاسلامية خمسة قرون من مؤامرات الغرب ومحاولة استعادة السيطرة.

ولكن المسلمين بعد أن سيطروا ألف سنة على العالم كان لابد أن تصيبهم سنة الله فيغفلوا عن مسؤوليتهم ويغرقوا في الترف والتحلل ويستطيع العدو أن ينتهز الفرصة لاجتياحهم ومحاصرتهم والسيطرة عليهم.

وبذلك بدأ عهد الاستعمار الغربي للأمة الاسلامية وكانت كبرى علاماته سيطرة بريطانيا على الهند وهولندا على ارخبيل الملايو في المرحلة الاولى ثم سيطرت بريطانيا وفرنسا وايطاليا على الوطن العربي من خلال الحملة الفرنسية قبل قرنين كاملين واحتلال الجزائر ١٨٣٠ ثم احتلال مصر ١٨٨٢م.

ثم تقاسم الغرب في مؤامرة خطيرة ميراث الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الاولى واقام وطنا قوميا لليهود في قلب فلسطين.

وكان ذلك كله مقدمة لاقامة اسرائيل والعمل على تحقيق حلم اليهود القديم قبل الفي عام وهو اقامة هيكل سليمان على انقاض المسجد الاقصى.

وهكذا تغيرت المواقع وسقطت دولة المسلمين منذ قرنين كاملين في امتحان خطير بعد أن تحقق للغرب في القرن الخامس عشر اقامة عصر النهضة الذي لم يكن اكثر من السيطرة على مقدرات الأمة الاسلامية في آسيا وافريقيا وجاد ظهور النفط عاملا جديدا من عوامل احكام السيطرة بعد صراع طويل بين الغرب الرأسمالي والشرق الماركسي ومن خلال مؤامرة الصهيونية العالمية التي رسمها منذ وقت طويل للسيطرة على عالم الاسلام كله .

واليوم يعيش المسلمون هذا الامتحان الخطير الذي عملوا على مقاومته منذ قرنين من الزمان في محاولة لحماية انفسهم من محاولة اختراقهم على النحو الذي يعمل الغرب لها تحت اسم التغريب والاستشراق والتنصير على اساس احتوائهم كأمة وتزييف الاسلام كعقيدة وذلك بفرض مفاهيم العلمانية التي ترمي إلى النيل من مفهوم الاسلام الاصيل بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع .

ونرى اليوم المسلمين في مختلف الارض وهم يواجهون الخطر والتحدي والامتحان ازاء محاولة ترمي إلى اذابتهم في المجتمعات المسيطرة وفرض الفكر الغربي عليهم لحملهم على قبول مفاهيم زائفة براقة هي جماع وثنيات الفكر البشري وسمومه .

واذا كان المسلمون قد استطاعوا خلال القرنين الماضيين حماية وجودهم من الاحتواء والانصهار فانهم اليوم قادرون على الصمود في وجه الخطر ايمانا بأن الاسلام وحده هو المنقذ الوحيد للبشرية كلها وأن سقوط الشيوعية اليوم هو اكبر دليل على ترهل هذا النظام الغربي الظالم الذي قام على اساس نهب ثروات الشعوب وعلى اساس اغراق البشرية في الظلم والفساد والاباحة .

فنحن المسلمين نؤمن ايمانا راسخا باننا على الحق، وأن هذا الذي يجري منذ قرنين من الزمان إنما هو امتحان خطير كان لابد أن يخوضه المسلمون ليؤكدوا لانفسهم ولربهم انهم صامدون قادرون **﴿أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾** التوبة الآية ١٦ ، **﴿وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء﴾** آل عمران ١٤٠ . **﴿ولمَّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾** آل عمران ١٤٢ . **﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾** الاحزاب الآية ٢٣ .

نحن نؤمن إيمانا راسخا بأن الاسلام جاء ليهدي البشرية كلها وليحررها من الوثنية ومن الظلم وليؤكد عبودية البشرية كلها لله تبارك وتعالى وحده ولكن بعض المسلمين وبعض حكامهم انحرفوا وتخلفوا وغرتهم مطامع الحياة الدنيا ومتارفها وفسادها فكان لابد أن يدفعوا ثمن خطائهم إذن لابد أن يعود المسلمون إلى الله تبارك وتعالى ليؤكدوا انهم اساءوا ولابد أن ينذروا أنفسهم لله تبارك وتعالى في سبيل الدفاع عن هذا الدين الحق فاذا فعلوا ذلك واقاموا منهج الله تبارك وتعالى في الارض ورابطوا في الثغور وعملوا على التمكين لوجودهم بالقدرة على الردع واستعادة الارض فإن الله تبارك وتعالى سوف يقبل منهم ويحقق لهم النصر بالعدد الاقل **﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾** سورة الانفال الآية ٦٥ .

إن علينا اليوم أن نراجع انفسنا وأن نتأكد من أن سنن الله تبارك وتعالى يجب أن تعمل وان ندرس التجربة القاسية التي مررنا بها

وكيف استطاع النفوذ الاجنبي أن يحتوينا وعلينا أن نعود إلى الله تبارك وتعالى من جديد في إيمان صادق عميق وتضحية كاملة وقبول لان نقدم انفسنا واموالنا في سبيل استعادة الحق الضائع واقامة المجتمع الاصيل فإن لم نعجل فاننا سوف نعيش مؤامرة الغرب إلى غايتها .

إن مفتاح الامر كله هو ان نثق ثقة مطلقة لايعتورها شك أو ظن أن الاسلام جاء لينشر جناحيه على البشرية كلها فلا تخدعنا الحضارة المادية التي تسيطر الآن على أنها هي نهاية التاريخ كما يقولون أو انها الملاذ الذي يجب أن تهرع اليه البشرية فانها لاتملك حقيقة الامن الذي يتطلع اليه البشر بل انها تحمل رغم مظهرها الخادع عوامل فسادها وانهيارها فلا يغتر المسلم الصادق الايمان بالله انها جاءت بديلا للاسلام وانما هي جاءت على هذا النحو الصاخب العاصف امتحانا للمسلمين الذين يملكون المنهج الرباني الاصيل والوحيد القادر على العطاء، ومعنى هذا أن المسلمين يمتحنون اليوم مرتين : يمتحنون في الازمة الخطيرة التي تمر بهم حيث تسيطر عليهم قوى الغرب المختلفة في محاولتهم لاختراقهم واحتوائهم وادخالهم الدائرة المغلقة حتى يستسلموا فعليهم اساسا الا يستسلموا وأن يظلوا قادرين على الصمود في وجه القوى مستعينين بنصر من الله : **﴿ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا﴾** . سورةالانفال الآية ٤٥ .

اما الامتحان الثاني : الثبات في وجه عاصفة الحضارة الغربية فلا تخدعنا مقولة إن فاتتنا فقد فاتنا القطار فهذا خداع ينخدع به الاغرار فنحن لانقبل بديلا عن عقيدتنا الكاملة القائمة على الروح والمادة

والعقل والقلب والدنيا والآخرة والمرتكزة على الوحدانية والنبوة والغيب والبعث والجزاء والتي تؤمن بالمسؤولية الفردية واخلاقية الحياة كجزء من العقيدة لافكاك عنها .

ونحن نؤمن بأن الغرب لن يعطينا اسرار التكنولوجيا دائما يريد أن يجعلنا عبيدا لحضارته مصدرين للموارد وسوقا لانتاجه وسوف تنهار هذه الحضارة لانها قامت على معارضة امر الله تبارك وتعالى .

اما انهيار الحضارة وسقوط منهجها فهو امر محتم لانها قامت على نفس قواعد الحضارات السابقة التي استعلت على اسلام وجهها لله تبارك وتعالى .

وعلماء الغرب ومفكروه فيما عدا قلة من اولياء الصهيونية والنفوذ الغربي يؤمنون بهذه الحقيقة المؤكدة ويرونها قريبة الحدوث وهم في الوقت الذي يسقطون الحضارة يؤكدون قدرة الاسلام على العطاء الحقيقي للبشرية كلها وعلى الامل المؤكد في انتشاره السريع ومن خلال ربانيته ووسطيته وسماحته . هذا، وبالله التوفيق .

الباب السادس

- عطاء الاسلام الحضاري للبشرية
- الفقه والقانون
- ابن خلدون وعلم الاجتماع
- مناهج علماء المسلمين في البحث العلمى

عطاء الاسلام الحضاري للبشرية

مايزال عطاء الاسلام متمثلا في مختلف محاولات الفكر السياسي والاجتماعي بالغ القدر، عظيم المكانة، ممثلا للقواعد الاساسية التي قام عليها الفكر الحديث بكل فروعه ومعطياته.

فقد أسس خلال اكثر من الف عام على شرائح ضخمة من الايجابيات المستمدة من المنهج القرآني في مجالات العلاقات الدولية ونظم الحكم ومجال العدل الاجتماعي ومجال العلوم التجريبية ففي مختلف هذه المجالات وغيرها قدم الاسلام عطاء عريضا هو بمثابة عملية تأسيس وريادة لكثير من معطيات الحضارة الانسانية ليس لها مثيل في عصور الحضارات اليونانية والرومانية والفارسية السابقة وزاد عليها عطاء تحرير النفس الانسانية من العبودية والرق الذي عرفته الحضارات واعتبرته اساسا راسخا من اسسها.

وكان «التجريب» من اعظم معطيات الحضارة الاسلامية متمثلا في عمل عديد من الاعلام الكبار: البيروني والحسن بن الهيثم وجابر بن حيان وغيرهم ممن رسموا قاعدة المنهج العلمي القائم على البحث والتجربة وقد اشاد ادوارد سخاو بمكانة البيروني وانه اعظم عقلية عرفها التاريخ واكبر ظاهرة في تاريخ العلم في الحضارة الاسلامية.

وقد استمد علماء التجريب المسلمون منهجهم من القرآن الكريم في مادة ﴿**قل هاتوا برهانكم**﴾ الآية ١١١ من سورة البقرة.

وقد رقوا بالعلم من مرحلة المترجم والنقل إلى مجال الابداع فكان عملهم علامة على بزوغ الطابع الاسلامي في وثائق المنهج العلمي التجريبي.

وقد درس علماء المسلمين ما وجدوه من التراث الاغريقي والهندي فعلقوا عليه وصححوه وحرروه واضافوا اليه اضافات جديدة وبذلك ادخلوا إلى مجال العلم المنهج الحسي والتجريبي في مواجهة المنهج الاشراقي الذي كان سائدا.

وقد حدد البيروني منهجه العلمي في التزام الرجوع إلى المناهج الاصلية ونفذ هذا في ابحاثه تنفيذا صارما واتخذ من التجربة سبيله إلى تحصيل المعارف وانكر تقبل الآراء المسلم بها من غير تمحيص أو تدقيق وعمد إلى امتحان الاشياء بعقله واخضعها للتجربة وكذلك فقد رفض مسلك المعاصرين له الذين كانوا يعتمدون علمهم على المذهب الاشراقي الذي انتشر بين الصوفية، وحرر مفهوم المعرفة واستمده من تكامل مفهوم المعرفة الاسلامي الجامع بين العقل والوحي وبين العقل والقلب ودعا إلى ضرورة الاستفادة بكسب العلم عن طريق العقل.

وكانت مقولة ابن الهيثم الحاسمة هي أن الاشياء المرئية هي التي تعكس الاشعة على العين فتبصرها بواسطة عدستها وانه ليس هناك من اشعة تنطلق من العين كما كان يقول اليونان.

وكان هذا التوجه الاسلامي إلى التجريب طبيعيا فقد رفض الفكر الاسلامي مفهوم الفكر اليوناني من حيث تختلف جذوره ومفاهيمه عن روح الفكر الاسلامي وطبيعته اشد الاختلاف وابرز هذه الفوارق

(إن الروح الاغريقية تتسم بالذاتية اي بشعور الذات الفردية بكيانها واستقلالها عن غيرها من الذوات بينما الروح الاسلامية تفنى بالذات في الكل، فليس الذوات المختلفة اجزاء مكونة بل هو كل يعلو على الذوات كلها وليست هذه الذوات الا من آثاره ومن خلقه يسيرها كيف يشاء ويفعل بها كما يريد).

ومما يتصل بأصالة منهجه العلمي الاسلامي انه قرب قضايا علم الفلك من اشارات القرآن فكان بذلك من اول من ربط بين اصول القرآن الكلية وبين خفايا العلوم واسرارها.

كذلك فقد رسم الحسن بن الهيثم اصول المنهج العلمي الحديث في كتابه «المناظر» واشار إلى العناصر العامة في هذا المنهج هي: (الاستقراء، القياس، الاعتماد على المشاهدة، التجربة والتمثيل). ويقول: (يبتدئُ في البحث باستقراء الموجودات وتصفح احوال المبصرات وتمييز خواص الجزئيات وتلتقط باستقراء ما يخص البصر في مجال الابصار وما هو مطرد لايتغير وظاهر لايشتبه في كيفية الاحساس ثم نترقى في البحث والمقاييس على التدرج والتدريب مع انتقاد المقدمات والتحفظ من الغلط في النتائج، ونجعل عرضنا في جميع ما نستقرئه ونتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى ونتحرى عن سائر ما يميزه وننتقده وطلب الحق الذي به يثلج الصدر ويصل بالتدرج واللطف إلى الغاية التي عندها يقع اليقين ونظفر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التي يزول معها الخلاف وتنسجم به مواد الشبهات وما نحن مع ذلك براء مما هو في طبعة الانسان من كدر البشرية ولكننا نجتهد بقدر ما هو لنا من القوة الانسانية ومن الله نستمد العون في جميع الامور). أ. هـ.

وهكذا يكشف ابن الهيثم عن غاية «المنهج العلمي» الاسلامي في نظره وهو:

١ - استعمال العدل لا اتباع الهوى.

٢ - التجرد من الهوى والانصاف بين الآراء.

٣ - وجود ما يثلج الصدر في الوصول إلى الحقيقة.

ويقرر الدكتور مصطفى نظيف والعلامة قدري طوقان ان ابن الهيثم ادرك ما نال به من بعده «ماك» و«كارل بيروسون» وغيرهما من رجال العلم الحديث في القرن العشرين.

وغاية الرأي عندهما انه اتجه إلى الوجهة التي يتجه اليها التفكير العلمي الحديث وعندهما انه سبق في طريقته العلمية وبحوثه وكشوفه العلمية العلامة بيكون في طريقته الاستقرائية وسما عليه وكان أوسع منه افقا واعمق تفكيرا.

اما «البيروني» فانه:

اولا: عمل قانونا جغرافيا كان اساسا لاكثر القسموغرافيا الشرقية وقد استند إلى قوله سائر المشرقيين في الكليات.

ثانيا: يحث في تقسيم الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية وكان ملما بعلم المثلثات وكتبه تدل على انه عرف قانون تناسب الجيوب.

ثالثا: عمل تجربة لحساب الوزن النوعي واستعمل في ذلك وعاء مصبه متجه الى اسفل، ومن وزن الجسم بالهواء والماء تمكن من معرفة مقدار المزج ومن هذا الاخير وزن الجسم بالهواء حسب الوزن النوعي.

رابعا : كتب عن الارقام الهندية وتغير قيمها بتغير مواضعها .

خامسا : حل كثيرا من المسائل التي لاتحل بالبرجل والمسطرة وحدهما وصنف في الفلك دائرة معارف .

سادسا : فسر ظهور الماء من الآبار بانه الماء في مثل الاواني المستطرقة بلغ في احداها مستوى هو لاشك بالغ مثله في كل انية متصلة بها اخرى .

سابعا : قارن بين سرعة الصوت وسرعة الضوء وقال : ان سرعة الضوء غاية في الكبر .

ثامنا : حدد الثقل النوعي لعدد من المعادن والاحجار تحديدا دقيقا لايكاد يذكر الفرق بينه وبين الوزن الحديث اليوم وهي معادن الذهب والزئبق والنحاس والحديد والصفيح والرصاص والياقوت والزمرد واللؤلؤ والبلور .

اما ابن الهيثم فهو صاحب منهج علم البصريات التي وصل فيه إلى اعلى درجة ولاسيما فيما يتعلق بانكساره في الجو وكتابه «المناظر» حجة في هذا المجال فقد بحث في انتشار الضوء والالوان والخداعات النظرية والانعكاس البصري بتجارب علمية في اختبار زوايا الانعكاس والسقوط ، كما فحص ابن الهيثم انكسار الاشعة الضوئية خلال الاوساط الشفافة «الهواء - الماء» واستطاع ان يقترب جدا من النتائج التي حصل عليها من الاكتشاف النظري للعدسات المكبرة التي صنعت في ايطاليا بعد ذلك بثلاثة قرون .

وقد عاش علماء اوربا على دراسة كتاب المناظر عدة قرون

وبفضله استطاع علماء القرنين ١٩ ، ٢٠ أن يخطوا بعلم الضوء خطوات واسعة واهم ما احدثه ابن الهيثم انه جعل من البصريات علما مستقلا له اصوله واسمه وقوانينه .

وانتفع بمادته كلها فحول العلم الاوربي الحديث «بيكون وكيلو وفيزي وواتيلو» وسحرت بحوثه في الضوء ماكس مايرهوف واثارت اعجابه الى درجة جعلته يقول : ان عظمة الابتكار الاسلامي تتجلى لنا في البصريات وابرز مظاهر علم ابن الهيثم انه استدل في جميع بحوثه في الضوء بالتجربة واستعان باجراء التجارب بالمعنى الذي نعنيه من هذه العبارة اليوم كما اولى «القياس» اهتمامه الكلي فهو بعد أن يثبت المباديء الاولية بالتجربة يتخذ تلك المباديء قضايا يستنبط منها بالقياس النتائج التي تفضي اليها .

وفي مختلف مجالات العلم والفلك والهندسة قدم علماء المسلمين معطياتهم :

١ - فهذه ظاهرة المد والجزر سبق اليها المسلمون فقد تحدث المسعودي في كتابه «مروج الذهب» عن ظاهرة المد والجزر وكان الملاحون العرب قد عرفوا من خلال رحلاتهم البحرية الكثير من الظواهر الطبيعية ومنها ظاهرة المد والجزر وقد تابعه في ذلك وتوسع فيه الدمشقي في كتابه «تحفة الدهر» وعماد الدين اسماعيل ابو الفدا في كتابه «تقويم البلدان» .

واهتم المسلمون برصد الافلاك وقياس العروض ومراقبة الكواكب السيارة وتأليف الازياج التي تحتوي على حركات النجوم كما اخترعوا آلة الاسطرلاب .

كل هذا قام به المسلمون في مجال الاستقراء والقياس والاعتماد على المشاهدة والتجربة والتمثيل.

وكان لابن النفيس القدح المعلى في مجال الدورة الدموية فهو لم يكن اول من اكتشف الدورة الدموية الصغرى كما هو مشهور فحسب بل كان ايضا اول من اكتشف الدورة الدموية الكبرى وقد اعتمد الباحثون المعاصرون في ذلك «كما يقول الدكتور يوسف زيدان» على مخطوطة لابن النفيس بعنوان «رسالة الاعضاء» وقد ظهرت شبهة ان الاسكندرانيون قد عرفوا الدورة الكبرى قبل ابن النفيس بالف وخمسمائة عام.

وقد اعتقدوا ان هيرفيلوس واراز سترانوس توصلا الى هذا الاكتشاف العلمي، ولكن الدكتور يوسف زيدان قد اعلن بعد مراجعة للتراث العلمي السكندري والنظر فيما يخص هؤلاء العلماء فلم يجد ما يشير الى معرفتهما بالدورة الدموية الكبرى وبهذا تأكد أن ابن النفيس هو مكتشف الدورتين.

ومن مصنفاته في كتابه «الشامل» الذي تدل فهرسته على انه يقع في ثلاثمائة مجلدة بيَّض منها ابن النفيس ثمانين. وقد استوعب ابن النفيس ما لاحصر له من المعارف الطبية ومات في الثمانين ولم يتمكن من اتمام هذه الموسوعة وكان يقول: (لو لم اعلم أن تصانيفي تبقى بعدي عشرة آلاف سنة ما كتبتها).

وكان جالينوس اول من قال: ان الدم ينتقل من الجانب الايسر من القلب عن طريق ثقوب دقيقة لاتراها العيون وقد ناقش ابن

النفيس هذا الرأي ونقضه وقال في كتابه : شرح تشريح القانون : ان الدم ينتقل من الجانب الايمن للقلب الى الرئتين اولا .

وكان جالينوس يقول : ان الطعام يتحول الى دم يسيل في الاوردة ويسير الى جميع اعضاء الجسم ، الا ان جزءا منه يجري في الوريد القلبي ومنه الى الوريد الاجوف المساعد الى الجانب الايمن للقلب .

حتى جاء ابن النفيس الذي كشف عن ان القلب ينتقي غذاءه من الدم الذي يجري في العروق الدموية التي تتخلل القلب واثبت ان الدم يندفع الى الرئة فتتشبع بالهواء ، واثبت ان هناك صلات بين شرايين الرئة واوردتها وهي تتحكم في الدورة الدموية داخل الرئة .

الفقه ... والقانون

كان عمل فقهاء المسلمين في صياغة الفقه مستمدا من الشريعة الاسلامية «القرآن والسنة» عملا ضخما عظيماً بعيد الاثر في القانون الغربي وقد بلغ قمة هذا العمل الامام الشافعي الذي وضع «علم اصول الفقه» وكان الناس قبل الشافعي يتكلمون في مسائل اصول الفقه ويستدلون ويعترضون ولكن ما كان لهم قانون كلي مرجوع اليه في معرفة دلائل الشريعة وفي كيفية معالجتها وترجيحاتها فاستنبط الشافعي: علم اصول الفقه ووضع للخلق قانونا كليا يرجع اليه في معرفة مراتب ادلة الشرع.

وفي مؤتمر لاهاي سنة ١٩٣٣م ومؤتمر واشنطون ١٩٣٥م قرر الباحثون الغربيون: ان الشريعة الاسلامية هي مصدر لقانون مستقل عن مصادر اليونان والرومان، واكد برناردشو في كتاب له بان قلب التوجيه العالمي يتصل في القرون المقبلة من الغرب الى الشرق واكد ان الشريعة الاسلامية ستصبح المدونة الوحيدة للحياة القادرة على تجديد وجهة وضبط حياة الانسان على الارض من اي مسار مستقبلي وبمراجعة فصل علم الفقه في مقدمة ابن خلدون وامثلة اخرى يتبلور تأثير الفقه الاسلامي عامة والفقه المالكي خاصة في البحر الابيض المتوسط والقارتين الاوربية والامريكية.

وقد أُعدَّت دراسات في الفقه المقارن تضم تحليل تفاصيل وابعاد اثر الفقه المالكي في بعض المشروعات الاجنبية خاصة «مدونة الفقه المدني» المعروفة بمدونة نابليون وقد اقتبس اصحابها

الكثير خاصة من مادة الاحكام والعقود والالتزامات .

وقد اشار الامير شكيب ارسلان في كتابه «حاضر العالم الاسلامي» إلى بعض ذلك وهو قليل من كثير مما اثر في الفكر القانوني الحديث ابتداء من الحرب العالمية الاولى وهناك دراسات مختلفة تتناول التأثيرات المتبادلة بين الفقه الاسلامي والقوانين الوضعية الاوربية الوافدة .

ويتفق المؤرخون على أن الاوربيين نزلوا في القرن التاسع والعاشر والحادي عشر الى الاندلس ونهلوا من معارف الاسلام من فلسفة وفلك وطب وان هذه المعارف كلها تدين اوربا للاندلس بها وقد كان اهم مايدرس في الاندلس الفقه الاسلامي ومن هنا كان الفقه الروماني اساس قوانين اوربا وقانون نابليون مأخوذ من الفقه الاسلامي الذي تلقاه اولئك الاوربيون من الاندلس وقد تأكد أن القانون الروماني الحديث الذي ظهر في القرن الثاني عشر الميلادي «الموافق للقرن الخامس الهجري» هو خلاف القانون الروماني القديم في جوهره ومواده وحقيقته ويتفقون على انها غير القوانين التي كان معمولا بها قبل ذلك .

وليس من المعقول مايتردد من أن القانون الروماني ضاع قرونا طويلة (من عهد جستنيان في القرن السادس الى القرن الثاني عشر ثم ظهر فجأة في هذا القرن ، كما حكاه جيبون في الجزء الرابع من تاريخه وكان الدافع لهم على هذا القول ما رأوه من مخالفة ما سموه بالقانون الروماني في عصرهم للقانون الروماني القديم ومخالفة لما كان جاريا من القوانين في فترة الضياع المذكورة) «هذا النص اورده

الاستاذ صالح بن حامد العلوي» .

وقد اشارت المصادر إلى أن جربرت الفرنسي الذي ذهب إلى قرطبة لتلقي هذا الفقه الاسلامي قد كاشف العلماء هناك حاجته اليه لفساد القوانين في بلاده وطلب مساعدتهم في ذلك ونقله الى لغته وحوَّر فيه بما يناسب أمته وشعبه مسميا له باسم القانون الروماني وتشير المصادر الى ان جربرت الفرنسي المعروف بين الاحبار الرومانيين باسم «سفلستر الثاني» كان على بعض معرفة ولاسيما في الفلسفة والطب بكتب عرب اسبانيا ومدارسهم لانه كان تلميذ علماء العرب في قرطبة واشبيلية وربما اثرت سيرته في الاوربيين المتشوقين للعلم .

يضاف الى هذا تلك الوثائق الخاصة بقانون نابليون والتي ترجمت اغلب مواده بواسطة البعثة العلمية التي جاءت مصر مع الحملة الفرنسية ، وجمع في مدونة سميت مجموعة قوانين نابليون وصدرت عام ١٨٠٤م ومعظمها مترجم عن المذهب المالكي وهو شرح «متن خليل» للشيخ الدردير ، وقد اتسعت حركة النقل هذه من فرنسا الى النمسا ١٨١١ وايطاليا ١٨٦٥ والمانيا ١٨٨٧ وسويسرا ١٩١٢ «ويحتوي قانون نابليون المقتبس من الفقه الاسلامي (مذهب مالك) على تشريعات المعاملات من بيع ورهن وهبة وجرائم» .

وقد اشار الاستاذ منير الفاضلي في بحث مستفيض الى أن نظريات كاملة من القانون الاوربي مستمدة من الفقه الاسلامي وهي :

١ - نظرية الظروف الطارئة .

٢ - نظرية التقشف في استعمال الحق.

٣ - نظرية الحق العيني والحق الشخصي.

٤ - نظرية تحول العقد.

٥ - نظرية عدم تجزؤ الاقرار.

٦ - نظرية تحرير العقد.

٧ - نظرية وصف العقد الواحد بوضعه.

هذه النظريات الحديثة وغيرها باعتراف الغرب مأخوذة من الفقه الاسلامي الذي قدم فيها تفضيلات واسعة.

وقد اعلن علماء القانون منذ وقت بعيد رأيهم في الشريعة الاسلامية والفقه الاسلامي واولها المؤتمر الدولي لماقيسة القوانين المنعقد في لاهاي ١٩٣٣ حين اعلن ان التشريع الاسلامي هو نظام قانوني مستقل عن كل القوانين وخاصة القانون الروماني وقد توالت المؤتمرات بعد ذلك حتى اليوم وكلها تجمع على هذه الحقيقة وتزويدها توكيدا.

وقد كشفت ابحاث كثيرة خطأ الدعوى القائلة بأن الاسلام ليس له نظام سياسي وان الافكار السياسية الاسلامية وافدة على المسلمين من النظام الروماني وغيره وقد ردد هذه الشبهة كثير من اتباع المستشرقين وفي مقدمتهم الدكتور طه حسين.

وقد كشفت ابحاث كثيرة في العصر الحديث زيف هذه الشبهة وكذب هذه الادعاء وفي مقدمة هؤلاء الدكتور محمد ضياء الدين الريس صاحب كتاب «النظريات السياسية الاسلامية» عن الاصول

العامة التي قام عليها مفهوم السياسة في الحكم وسياسة الدولة مستمدا اياها من الفقه الاسلامي ومعتمدا على القرآن الكريم والاحاديث النبوية.

وهي تقدم بوضوح اجابة صحيحة ليس عن وجود نظام سياسي اسلامي فحسب، بل عن ان معظم النظريات السياسية الحديثة لم يكن يعرفها الغرب ولا الرومان وانها انتزعت من الفكر الاسلامي وان فقهاء المسلمين هم الذين اخرجوها من كنوز فقههم.

فالماوردي والشافعي والغزالي والجويني وابن حزم قد اشتركوا في رسم خطوط هذا المنهج في مختلف مجالات الامامة والولاية والحكم والعقد السياسي وانه من خلال كتاب الاحكام السلطانية للماوردي، واحياء علوم الدين للغزالي والسياسة الشرعية لابن تيمية واعلام الموقعين لابن قيم الجوزية والمقدمة لابن خلدون تجد رجال الفقه الدستوري الاسلامي.

ويجب ان نذكر في هذا الصدد دور الامام الشيباني الذي هو الرائد الاول للفكر القانوني الدولي في العالم والفقيه الوحيد الذي كتب عن العلاقات الدولية في الاسلام فسبق «جرديتوس الهولندي» الذي يعد عند الاوربين مؤسس القانون الدولي بأكثر من ثمانمائة عام وقد عرف فقهاء اوربا الامام الشيباني «محمد بن حسن بن فرقة» في القرن الماضي بعد ان ترجم كتاب «اكسير» الى بعض اللغات الاوربية حيث لم يأت فقهاء القانون الدولي بجديد بالنسبة لما كتبه الشيباني حيث استوعب احكام العلاقات بين المسلمين وغيرهم في حالتي السلم والحرب ومسائل الاسرة وحصانة السفراء والمهادنات والمعاهدات ومجرمي الحرب واحكام الغنائم.

وقد اكد الباحثون أن نشأة القانون الدولي وتاريخه بدأت في احضان الاسلام فقد كان المسلمون هم الرواد في البحث في العلاقات الدولية وان علماء اوربا على الرغم من تقدم البحث العلمي لم يزيدوا على ما كتبه علماء المسلمين شيئا ذا بال، وان الدراسات الاسلامية في هذا الموضوع امتازت عن غيرها بتلك الروح الانسانية التي تخدم الانسان لذاته دون نظر الى عقيدته أو جنسه أو لونه والتي تجعل السلم اساس العلاقات بين الناس وترى في الحرب ضرورة لاحقاق الحق ومنع الظلم والفساد وازالة العوائق عن طريق الدعوة ولايعترف بها وسيلة لقهر الضعفاء وامتهانهم ونهب ثرواتهم والتي تقوم على التعاون على البر والتقوى لا على الاثم والبغي والعدوان.

وقد انشأ علماء القانون الاوربي في يناير ١٩٣٣ جمعية الشيباني للقانون الدولي في فرنسا ثم في المانيا وكانوا قد عرفوا الشيباني لاول مرة عام ١٨٢٥ عندما ترجم كتابه الى اللغة التركية لاول مرة ثم اقيم بعد ذلك مهرجان الشيباني عام ١٣٨٩ هجرية بمناسبة مرور اثنى عشر قرنا على وفاة الشيباني.

ابن خلدون وعلم الاجتماع

اما في مجال العلوم الاجتماعية فقد كان للاسلام عطاؤه المتميز حيث أفاد علماء المسلمين من سنن الله تبارك وتعالى التي قدمها القرآن الكريم فنشأت علوم الاجتماع والاقتصاد والتاريخ متدرجة على ايدي العلماء والباحثين حتى جاء ابن خلدون فصهر مفاهيم المؤرخين السابقين له وافاد من كتابات المسعودي والغزالي والآمدي وابن حزم وسراج الملوك للطرطوشي والاحكام السلطانية للماوردي ولكنه استطاع ان يبني منهجا جامعا فقد طبق المنهج الاستقرائي الذي اتضح من قبل لدى الاصوليين والمتكلمين والفقهاء وكان له اصالته الخاصة وبراعته المنهجية كونه واحداً من المفكرين وعضواً في اسرة كبيرة.

يقول الدكتور علي سامي النشار: ان مسبوقية ابن خلدون لاتقلل من دوره كونه علماً بارزاً استطاع في هذه المرحلة ان يقدم عملا لايمكن ان يتخطاه احد ويتميز على المراحل المتصلة بأنه بلغ القمة فاعطى طالع «النظرية الكاملة» وقد كان من شأن ذلك ان ظل ابن خلدون الى اليوم وفي نظر علماء الغرب انفسهم علما ومعلما، كما امتاز ابن خلدون بأنه درس الموضوع بطريقة الاسلام المتكاملة الجامعة بين السياسة والاقتصاد والاجتماع والتي لاتتوقف عند الناحية الشرعية وحدها شأن من سبقوه وقد كان عمله ركيزة لمن جاء بعده من علماء المسلمين وخاصة المقريزي والسخاوي وابن الازرق الاصبحي.

وقد اكد كثير من الباحثين الغربيين الاعتراف بسبق ابن خلدون الى انشاء علمي الاجتماع والاقتصاد أو وضع احجار الاساس لهما سابقا لآدم سميث واوجست كونت باربعة قرون كاملة.

وقد ادرك ابن خلدون أن الاجتماع يقوم على قوانين طبيعية وضرورية تعمل عملا آليا بحتا في كل زمان ونطاق وقد جعل علم الاجتماع اساسا للتاريخ وادرك أن علم الاجتماع يضم مظاهر كثيرة لعلوم السياسة والاقتصاد والعلم والتعليم.

ويكاد ابن خلدون يحصر فلسفته الاجتماعية في هذه الاصول:

اولا: ان الاجتماع البشري لايخلو من بداوة وحضارة وأن البداوة اصل لكل حضارة وهي تستلزم بالطبع العصبية وان العصبية تستلزم الاستقلال وفقدانها يسبب الاضمحلال وان البداوة تستلزم الخشونة والنشاط وهما يستلزمان الغلب والاستعلاء على اهل الحضر والاندماج فيه.

ثانيا: ان نشوء الحضارة واضمحلالها لايكون طفرة بل يقتضي انقضاء نصف قرن أو اربعين سنة على اقل تقدير حتى يكون قد شمل النشء والشبان والكهول وان تأسيس الدول أو غلبة أمة على أمة لايكون الا بدافع ديني أو سياسي، وان غلبة أمة على أمة لايكون إلا بدافع نتيجة ضعف الأمة المغلوبة ضعفا لا مقاومة فيه بعصبية أو قوى اخرى معنوية.

ثالثا: ان التغلب على الامم القوية بالعصبية أو كثرة العدد يكون بالمطاولة لا بالمناجزة وان المغلوب مولع ابدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وعاداته وان الأمة اذا غلبت وصارت ملك غيرها

«من كل وجه» اسرع اليها الفناء وان الاوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل ان تحكم فيها دولة وان الحضارة في الامصار تدوم وترسخ برسوخ الدول وطول عمرها «عن احمد السكندري في مبحث مستفيض».

وهكذا حدد ابن خلدون القوانين التي تحكم بنيان المجتمعات كما حدد القوانين التي تحكم كتابة التاريخ.

وتحدث ابن خلدون عن «الانحلال وسقوط الدول» وقال انه يرجع الى عاملين هما: الترف والطغيان «القهر» وهاتان النظريتان مستمدتان من القرآن، كما استقى ابن خلدون نظرية الربط بين الدين والدولة من القرآن الكريم وقرر ان الدعوة الدينية تزيد الدولة في اصلها قوة على قوة العصبية وان الدعوة الدينية من غير العصبية لاتتم كما قرر أن الدين يدعم الدولة، ولكنه لم ينكر القومية.

كذلك فقد عارض ابن خلدون كثيرا من نظريات الفكر الغربي وفي مقدمتها نظرية الحق الالهي وحق الملوك واعلن انه لاتوجد في الفكر الاسلامي أو التاريخ الاسلامي واحل محلها نظرية الحق أو القانون الطبيعي.

ولقد كان واضحا أن ابن خلدون يستمد مختلف مفاهيمه من القرآن سواء عن التاريخ أو الاقتصاد أو الاجتماع أو السياسة، وكان في عمله كله ملتزما بمفهوم الاسلام الكامل الجامع بين الروح والمادة والدين والعلم والعقل والنقل ذاته ورفض كل ما يتعارض معه.

مناهج علماء المسلمين فى البحث العلمى

يقول الدكتور فرانتز روزنتال في كتابه «مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي» :

لقد كان المؤرخون المسلمون، كما كان علماء الدين ايضا يعتمدون على الوثائق المدونة ولم يكن للمعارف التي تعتمد على الذاكرة شأن في تآليفهم، ولم يستنكف المؤلفون المسلمون عن ذكر «الجذاذات» التي كانوا يدونون عليها الملاحظات أو ينسخون فيها المقتبسات عن الكتب التي كانوا يقرأونها.

وينبغي لطالب العلم المسلم أن يعنى بتحصيل الكتب المحتاج اليها من العلوم النافعة ما امكنه شراء أو اجارة أو عارية لانها آلة التحصيل ولايجعل تحصيلها وجمعها وكثرتها حظه من العلم ونصيبه من الفهم، ويستحب اعارة الكتب لمن لاضرر عليه فيها ممن لاضرر منه بها واذا استعار كتابا فلا يبطيء به من غير حاجة واذا طلبه المالك فيحرم عليه حبسه ويصير غاصبا له، وقد جاء في ذم الابطاء برد الكتب المستعارة عن السلف نظما ونثرا كثيرا ولايجوز له ان يصلح كتاب غيره بغير اذن صاحبه فقلت وهذا محله في غير القرآن فان كان مغلوطا أو منحوتا فليصلحه واذا لم يكن خط المصلح مناسبا فليأمر من يكتب ذلك بخط حسن ولايكتب شيئا على بياض فواتحه ولاخواتمه الا اذا علم رضى صاحبه ولايعيره لغيره ولا يودعه بغير ضرورة ولابنسخ منه بغير اذن صاحبه واذا نسخ من الكتاب أو طالعه فلا يضعه مفروشا على الارض بل يجعله مرتفعا

واذا وضع الكتب مصفوفة فليكن على شيء مرتفع على الارض لئلا تندى فتبلى ويراعى الادب في وضعها باعتبار علومها فيضع الاشرف اعلى الكل فاذا استوت كتب في فن واحد فليراع شرف المصنف فيجعله اعلى وليجعل المصحف الشريف اعلى الكل ثم كتب الحديث الصرف كالبخاري ومسلم ثم تفسير القرآن ثم تفسير الحديث ثم الفقه ثم اصول الدين ثم اصول الفقه ثم النحو والتصريف ثم اشعار العرب والعروض.

ويبتديء كل كتاب بكتابة «بسم الله الرحمن الرحيم» واذا كان مصنفا تركها كتابة فليكتبها هو ثم ليكتب قال الشيخ أو قال المصنف وليختم بقوله: آخر الجزء الاول أو الثاني ويتلوه كذا وكذا إن لم يكن اكمل الكتاب فإن اكمله فليقل: تم الكتاب الفلاني وكلما كتب اسم الله تعالى اتبعه بالتعظيم مثل تعالى أو سبحانه أو عز وجل أو القدسي أو تبارك وكلما كتب اسم النبي صلى الله عليه وسلم كتب بعد الصلاة عليه والسلام ولايسأم من تكرارها.

واشار روزنتال إلى الامانة العلمية فقال:

إن العلماء المسلمين كانوا حذرين حريصين على الا يمسوا النسخ الخطية باصلاح أو تعديل وقد عنى علماء الحديث والفقه في الدرجة الاولى بالامانة والدقة في ذكر المصادر المأخوذ منها لأن «الاسانيد» هي جزء من مادة البحث وكل علم آخر له علاقة مباشرة بهذين العلمين: الحديث والفقه، تأثر إلى حد بعيد باسلوب دراستها ومعالجتها، اما اصحاب الكتب التاريخية فانهم كانوا شديدي الحرص على ذكر المصادر التي يأخذون منها وكان المؤلفون الذين

يحرصون على ذكر مصادرهم يشعرون بأنهم قاموا بما عليهم.

ومن الواضح ان العلماء المسلمين كانوا يقدرون اهل العلم من غير دينهم ويحترمون الثقات منهم ايما احترام، وقد الف العلماء المسلمون له كتبا لدحض آراء معينة واذا كان رأي المؤلف موجبا للنقد فانه يثبت اراءه وملاحظاته.

وكانت القوائم النقدية بكتب المراجع تحتوي على تقدير المؤلف لكتب من سبقه من العلماء وتقييمها واحيانا كان العلماء يذكرون هذه الكتب المراجع للتدليل على ان الموضوع الذي سبقت معالجته على ايدي القدماء ينبغي معالجته مرة اخرى على ضوء المعارف الجديدة وبصورة عامة يستطيع القول بأن العلماء المسلمين حرصوا الحرص كله على الحفاظ على الافكار والاخبار التي كانوا يعتقدون ان لها قيمة فعلية وكثيرا ما كان العلماء المسلمون يحاولون وضع مقاييس لتقرير صدق المعلومات لشعورهم بضرورة ذلك عندما يجابهون المشكلات التاريخية التي يبحثونها ويعتقد «الطبري» أن الظن والحدث لايصلح أن يكون حكما على اثبات الحقائق وان الحقائق لايمكن الحصول عليها الا بواسطة المعلومات التاريخية المتوفرة لدينا، ويوصي رشيد الدين غم ابن ابي اصبعيه المؤلفين والمؤرخين ان ينظروا في كل خبر نظرا عاريا عن محبة أو مبغضة وان يزنوه بميزان العقل والقياس وان يتفحصوه».

هذا وقد كشف كثير من الباحثين عن اصالة المنهج الاسلامي في دراسات العلوم الذي يقوم على «التحقق من صحة نسب النص الى مصدره وسلامة متنه من التحريف والتشويه والخلل.

وكان الظن اننا لم نعرف المنهج قبل الاتصال بالغربيين ونقل مناهجهم في البحث ولكن العكس هو الصحيح فالواقع ان اول من اصل هذا المنهج هم «علماء الحديث» الذين حددوا ضوابطه في توثيق الرواية والاسناد والنقل ، وعنهم اخذ علماء اللغة والادب والتاريخ في فحص الاسانيد وعند الرواة وبذلك امكن اخضاع «السنة» لرقابة حاسمة وضعت لها الحدود والقواعد والموازين الكفيلة بسلامة المرويات من شوائب التحريف والغفلة والتدليس والكذب والوضع .

وتعد مصنفاتهم الاولى : موطأ مالك والام للشافعي ومسند احمد منهاجا للعلماء في تخريج الحديث وفحص سنده ونقد روايته وتمييز ما صح منه في الكتب الست الامهات : صحيح البخاري ومسلم وسنن ابي داود والنسائي والترمذي وابن ماجة .

وتقول الدكتورة بنت الشاطيء : ان ضوابط المنهج النقلي يستوعبها سبعون عالما وانه لايصح الحديث عندهم الا اذا اتصل اسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط الى منتهاه من غير شذوذ ولا علة «اي منتهاه معين الى نهاية الاسناد الى الرسول صلى الله عليه وسلم» .

وتقول : ان المراجع للمنهج الغربي في توثيق المرويات ونقد المصادر وتحقيق النصوص ترى ان الغربيين لم يأتوا بجديد لم يعرفه علماؤنا في علوم الحديث التي بلغت سبعين علما .

وتشير الى دراسة روزنتال «مناهج البحث عند المسلمين» ويقول : لقد نسي روزنتال أو غفل عن كون المنهج النقلي للرواية

عرفته المدرسة الاسلامية منذ بدء عصر التدوين وقبل مولد ابن جماعة والعلوي بقرون ذات عدد ورسخت قواعده لدى علماء المسلمين في بواكير مصنفاتهم في الحديث والفقه. ثم في التاريخ واللغة الى أن استقلت بالتأليف في الكتب المعتمدة لدينا في مصطلح علوم الحديث مثل كتاب ابن حاتم الراوي «الجرح والتعديل» وكتاب الحاكم النيسابوري في معرفة علوم الحديث والخطيب البغدادي في الكفاية في علم الرواية ومقدمه ابن الصلاح في علوم الحديث وشرح تحية الفكر في مصطلح اهل الاثر لابن حجر العسقلاني.

كذلك فإن العلماء المسلمين ابطلوا صناعة التنجيم وبينوا فساد علم احكام النجوم التي كانت تعزو كل ممكن وكل خارقة إلى فعل الكواكب وبينوا الخطأ الكبير فيما يزعمه السابقون من أن بعض الكواكب تجلب السعادة وان بعضها يجلب النحس.

وانتهوا إلى ان هناك معرفة برهانية يقينية الى اكمل درجات اليقين نجدها في علم النجوم التعليمي اما دراسة خصائص الافلاك وفعلها في الارض فلا نظفر منها الا بمعرفة ظنية وابانوا ان دعاوى المنجمين ونبوءاتهم لاتستحق منا الا الشك والارتياب كذلك آمنوا بتكامل الفكرة والتجربة والنظرية والتطبيق وأوا ان العالم الذي يقف عند العلوم النظرية ولايتعداها الى الجانب العملي هو فيلسوف مزور وباطل ولا صلة بينه وبين الحياة اذ أن الحياة علم وعمل.

واعلن العلماء المسلمون «اخلاقية العلم» وكمال نسبته الى الخالق تبارك وتعالى وانكروا تعليل الظواهر بعلل اخرى غير ارادة

الله فجعلوا العلم ربانيا في مصدره وفي مقصده وهدفه وكما جمع المفكرون المسلمون بين العلم والاخلاق حملوا بين السياسة والاخلاق وكانوا ينطلقون من قاعدة انهما شيء واحد وانهما متكاملان وهم في ذلك يختلفون عن فلاسفة اوربا في العصر الحديث «روسو وهيجل وماركس» الذين يفرقون بين السياسة والاخلاق ويفكرون في مشكلات السياسة وموضوعاتها تفكيرا مستقلا عن تفكيرهم الخلقي.

وفي كل كتابات الغزالي «التبر المسبوك» وابن خلدون وابن تيمية وابن طباطبا «الفخري» والقيرواني والطرطوسي «سراج الملوك» نجد هذه الروح واضحة عليه.

كذلك فان العلم الاسلامي لم يصطدم بفكرة الصراع بين الدين والعلم التي كانت من اكبر التحديات التي واجهها العلم في الفكر الغربي ذلك لان العلم بدأ من الاسلام اساسا ونشأ في كنفه وتحرك من خلال مناهجه واسلم وجهه لله تبارك وتعالى.

وان علماء المسلمين كانوا يؤمنون بأن العقل لايصل إلى اليقين الا ضمن دائرة محدودة ضيقة وانه بحاجة إلى العون الالهي ليفرق بين الخطأ والصواب وان العقل كما يقول الامام الغزالي عاجز في مبداه وفي طرقه مالم يمده الله تبارك وتعالى بنور من عنده يمكنه من الوصول الى اليقين وان حقيقة الدين قائمة على اساس الايمان بالوحي وان العقل ليس مستقلا بالاحاطة بجميع المطالب ولا كاشفا للغطاء في جميع المعضلات.

هذا وبالله التوفيق.

فهرس

صدر من هذه السلسلة

١ –	تأملات في سورة الفاتحة	د. حسن باجودة
٢ –	الجهاد في الإسلام مراتبه ومطالبه	أ. أحمد محمد جمال
٣ –	الرسول في كتابات المستشرقين	أ. نذير حمدان
٤ –	الإسلام الفاتح	د. حسين مؤنس
٥ –	وسائل مقاومة الغزو الفكري	د. حسان محمد مرزوق
٦ –	السيرة النبوية في القرآن	د. عبد الصبور مرزوق
٧ –	التخطيط للدعوة الإسلامية	د. محمد علي جريشة
٨ –	صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية	د. أحمد السيد دراج
٩ –	التوعية الشاملة في الحج	أ. عبد الله بوقس
١٠ –	الفقه الإسلامي آفاقه وتطوره	د. عباس حسن محمد
١١ –	لمحات نفسية في القرآن الكريم	د. عبد الحميد محمد الهاشمي
١٢ –	السنة في مواجهة الأباطيل	أ. محمد طاهر حكيم
١٣ –	مولود على الفطرة	أ. حسين أحمد حسون
١٤ –	دور المسجد في الإسلام	أ. محمد علي مختار
١٥ –	تاريخ القرآن الكريم	د. محمد سالم محيسن
١٦ –	البيئة الإدارية في الجاهلية وصدر الإسلام	أ. محمد محمود فرغلي
١٧ –	حقوق المرأة في الإسلام	د. محمد الصادق عفيفي
١٨ –	القرآن الكريم كتاب أُحكمت آياته [١]	أ. أحمد محمد جمال
١٩ –	القراءات أحكامها ومصادرها	د. شعبان محمد اسماعيل
٢٠ –	المعاملات في الشريعة الإسلامية	د. عبد الستار السعيد
٢١ –	الزكاة فلسفتها وأحكامها	د. علي محمد العماري
٢٢ –	حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم	د. أبو اليزيد العجمي
٢٣ –	الأقليات المسلمة في آسيا وآستراليا	أ. سيد عبد المجيد بكر
٢٤ –	الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر	د. عدنان محمد وزان
٢٥ –	الإسلام والحركات الهدامة	معالي عبد الحميد حمودة
٢٦ –	تربية النشء في ظل الإسلام	د. محمد محمود عمارة
٢٧ –	مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامي	د. محمد شوقي الفنجري
٢٨ –	وحي الله	د. حسن ضياء الدين عتر
٢٩ –	حقوق الإنسان وواجباته في القرآن	أ. حسن أحمد عبد الرحمن عابدين
٣٠ –	المنهج الإسلامي في تعليم العلوم الطبيعية	أ. محمد عمر القصار
٣١ –	القرآن كتاب أحكمت آياته [٢]	أ. أحمد محمد جمال

٣٢-	الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج	د. السيد رزق الطويل
٣٣-	الاعلام في المجتمع الإسلامي	أ. حامد عبد الواحد
٣٤-	الالتزام الديني منهج وسط	الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة
٣٥-	التربية النفسية في المنهج الإسلامي	د. حسن الشرقاوي
٣٦-	الإسلام والعلاقات الدولية	د. محمد الصادق عفيفي
٣٧-	العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية	اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ
٣٨-	معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها	د. محمود محمد بابللي
٣٩-	النهج الحديث في مختصر علوم الحديث	د. علي محمد نصر
٤٠-	من التراث الاقتصادي للمسلمين	د. محمد رفعت العوضي
٤١-	المفاهيم الاقتصادية في الإسلام	د. عبد العليم عبد الرحمن خضر
٤٢-	الأقليات المسلمة في أفريقيا	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٣-	الأقليات المسلمة في أوروبا	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٤-	الأقليات المسلمة في الأمريكتين	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٥-	الطريق إلى النصر	أ. محمد عبد الله فودة
٤٦-	الإسلام دعوة حق	د. السيد رزق الطويل
٤٧-	الإسلام والنظر في آيات الله الكونية	د. محمد عبد الله الشرقاوي
٤٨-	دحض مفتريات	د. البدراوي عبد الوهاب زهران
٤٩-	المجاهدون في فطان	أ. محمد ضياء شهاب
٥٠-	معجزة خلق الإنسان	د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٥١-	مفهوم القيادة في إطار العقيدة الإسلامية	د. سيد عبد الحميد مرسي
٥٢-	ما يختلف فيه الإسلام عن الفكر الغربي والماركسي	أ. أنور الجندي
٥٣-	الشورى سلوك والتزام	د. محمود محمد بابللي
٥٤-	الصبر في ضوء الكتاب والسنة	أ. أسماء عمر فدعق
٥٥-	مدخل إلى تحصين الأمة	د. أحمد محمد الخراط
٥٦-	القرآن كتاب أُحكمت آياته [٣]	أ. أحمد محمد جمال
٥٧-	كيف تكون خطيباً	الشيخ عبد الرحمن خلف
٥٨-	الزواج بغير المسلمين	الشيخ حسن خالد
٥٩-	نظرات في قصص القرآن	أ. محمد قطب عبد العال
٦٠-	اللسان العربي والإسلامي معاً في مواجهة التحديات	د. السيد رزق الطويل
٦١-	بين علم آدم والعلم الحديث	أ. محمد شهاب الدين الندوي
٦٢-	المجتمع الإسلامي وحقوق الإنسان	د. محمد الصادق عفيفي
٦٣-	من التراث الاقتصادي للمسلمين [٢]	د. رفعت العوضي
٦٤-	تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد	الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة
٦٥-	لماذا وكيف أسلمت [١]	الشهيد أحمد سامي عبد الله
٦٦-	أصلح الأديان عقيدة وشريعة	أ. عبد الغفور عطار

١٣٧ – التنمية والبيئة دراسة مقارنة	د. شوقي أحمد دنيا
١٣٨ – الشريعة الإسلامية شريعة العدل والفضل	د. محمود محمد بابللي
١٣٩ – سقوط الأيديولوجيات	أ. أنور الجندي
١٤٠ – الطفل في الإسلام	أ. محمود الشرقاوي
١٤١ – التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها	أ. فتحي بن عبدالفضيل بن علي
١٤٢ – لمحات من الطب الإسلامي	د. حياة محمد علي جفاجي
١٤٣ – الإسلام والمسلمون في ألبانيا	د. السيد محمد يونس
١٤٤ – أحمد محمد جمال (رحمه الله)	مجموعة من الأساتذة الكُتّاب
١٤٥ – الهجوم على الإسلام في الروايات الأدبية	أ. أحمد أبو زيد
١٤٦ – الإسلام والنظام العالمي الجديد (الطبعة الثانية)	د. حامد أحمد الرفاعي
١٤٧ – من جماليات التصوير في القرآن الكريم	أ. محمد قطب عبد العال
١٤٨ – الواقع الاستهلاكي للعالم الإسلامي	أ. زيد بن محمد الرماني
١٤٩ – الماسونية والمرأة	أ. جمعان بن عايض الزهراني
١٥٠ – جوانب من عظمة الإسلام	أ. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
١٥١ – الأسرة المسلمة	د. حسن محمد باجودة
١٥٢ – حرب القوقاز الأولى	د. أحمد موسى الشيشاني
١٥٣ – المفاهيم الاستهلاكية في ضوء القرآن والسنة النبوية – الجزء الثاني	أ. زيد بن محمد الرماني
١٥٤ – المسلمون في جمهورية الشاشان وجهادهم في مقاومة الغزو الروسي	د. السيد محمد يونس
١٥٥ – القدس في ضمير العالم الإسلامي	اعداد مجموعة من الباحثين
١٥٦ – الطريق إلى الوحدة الإسلامية	اعداد مجموعة من الباحثين
١٥٧ – المركز القانوني الدولي لمدينة القدس	د. جعفر عبد السلام
١٥٨ – الحوار النافع بين أصحاب الشرائع	د. عبد الرحمن الحوراني
١٥٩ – الإنسان والبيئة	أ. علي راضي أبو زريق
١٦٠ – الإسلام وأثره في الثقافة العالمية	أ. محمود الشرقاوي
١٦١ – الموت .. ماذا أعددنا له ؟	أ. عبد الله أحمد خشيم
١٦٢ – زواج المسلمة بغير مسلم وحكمة تحريمه	د. محمود محمد بابللي

طبع بمطابع رابطة العالم الاسلامي في مكة المكرمة